المشرق

كتاب تدبير المنزل

نشرهُ الاب لويس شيخو

توطئة

في جملة المقالات البديعة التي يحتويها المجموع الفلسفيّ الذي مرَّ انا وصفهُ في المشرق (١٦ [١٩١٣] : ١٧٣-١٧٨) ونقلنا عنهُ في العام السابق (ص ٨٨١-٨٨٩) رسالة داسطيوس في السياسة «كتاب في تدبير المنزل» هو الثاني بين مضامين ذلك المجموع النفيس(١ لا يقلّ هناك عن ٣٥ صفحة والكتاب المذكور فريدٌ في بابه وهو كما يظهر لاحد فلاسفة اليونان يستدلّ الى ذلك من طريقة كتابتهِ ومعانيهِ

اما المؤلف فقد ذُكر في اوّل المقالة على هذه الصورة «كتاب برسيس في تدبير الرجل لمترلهِ» فمن هو «برسيس» هذا المرويّ اسمهُ باهمال نقطهِ فيمكن قراءتهُ «برسيس وترسيس وترسيس» وباللاتينيّة او اليونانيّة Barses, Brasius, Beresius, Bersius, Thrasius, Tarasius, Teresius, Nerses, Narcissus, Neresius وليس ما بين هذه الاسماء ما يطبق على اسم فيلسوف معروف . ويزيد المشكل ابهاماً ورد في آخر المقالة «ثم قول برواس» تتعذّر قراءتهُ على وجوه جديدة تخميناً لا تأكيداً . وانما يصحّ القول بانهُ اسم اعجميّ

فان كان كاتبهُ من اليونان أترى يُعرَف من عربّهُ . . هذا ايضاً لم يصرّح بهِ في اوّل المقالة ولا في آخرها ومن المحتمل انّ المعرّب هو الكاتب النصراني ابو علي عيسى بن اسحاق الشهير بابن زُرْعة الذي عرّب رسالة داسطيوس التي نشرناها وكان احد نقلة كتب اليونان الى العربيّة

ومهما كان من مؤلف الكتاب ومن معرّبهِ فلا شكّ انهُ اثرٌ قديم حريّ بالذكر ونشرهُ خدمةٌ للعلوم الفلسفيّة ولاسيّما ان هذا الموضوع اي تدبير المترل قلّما خاض في عبابهِ كتبة العرب . وهو من العلوم الجليلة . قال الحاج خليفة في وصفهِ (طبعة ليبسك ٢ : ٣٥١) : علم

---

١) هذه النسخة الثمينة هي اليوم في ملك سعادة احمد باشا تيمور ابتاعها من جناب الوجيه جرجس بك صفا

تدبير المنزل قسم من ثلثة اقسام الحكمة العملية وعرّفوهُ بأنهُ علم يُعرف منهُ امتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجتهِ واولاده وخدّامهِ وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال . وموضوعهُ احوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام وتقعهُ عظيم لا يُخفى على احد لأنّ حاصلهُ انتظام احوال الانسان في منزلهِ ليتمكّن بذلك من رعاية الحقوق الواجبة بينهُ وبينهم ويتفرّع على اعتدالها كسبُ السعادة العاجلة والآجلة . . . واعلم انهُ ليس المراد بالمنزل في هذا المقام البيت المتّخذ من الاحجار والاشجار بل المراد التآلف المخصوص الذي يكون بين الزوج والزوجة والوالد والولد والخادم والمخدوم والمنزل والمال سواء كانوا من اهل المدَر او اهل الوبَر واسأ سبب الاحتياج اليهِ فكون الانسان مدنيًّا بالطبع . وكُتُب علم الاخلاق متكفّلة لتبيان مسائل هذا الفنّ وقواعدهِ »

ومما يُعرف من ذلك كتابان الواحد لارسطاطاليس شيخ فلاسفة اليونان والثاني لثارفرسطوس الفيلسوف المتوفّى في اثينة سنة ٢٨٧ ق م قد اتّسع في وصفهما احد علماء فرنسة المسيو إجر (M. Egger) في مجموعة أكادمية الكتابات والفنون في المجلد الثلثين des Académie Inscriptions et des Belles-LettresXXX, 1, 419-482. فهناك مقالة تحت عنوان اقتصاديّات ارسطاطاليس وثاوفرسطوس (Mémoire sur les Œconomica d'Aristote et de Théophraste) فمن المقابلة بين ما ورد فيهما ولاسيّما مقالة ارسطاطاليس وما جاء في مقالتنا هذه التي حاولنا نثرهـا اتّفاقات عديدة سواء كان في المادّة او في الصورة ففي كليهما قولٌ في ما يجب على الانسان تدبيرهُ من الاموال والعبيد والاهل والاقارب كالزوجة والبنين . وبينهما شبهٌ ايضًا في الطريقة الكتابية . ثمّ انّ في مكتبة الاسكوريال في مدريد كتاب موسوم بالعدد ٨٨٣ (Casiri, I, p. 300, MS. DCCCLXXXIII) اسمهُ كتاب تدبير المنزل لارسطاطاليس لم يمكنّا الوقوف عليهِ ولمّا بينهُ وبين نسختنا بعض الشبه فندع الحكم في ذلك لعلماء اسبانية

وقد وقع في الاصل الذي اخذنا عنهُ بعض الاغلاط فأشرنا اليها بين هلالين وجعلنا بين معقفين [ ] ما فُقد او نُسخ من الاصل . وهناك ايضًا عبارات ملتبسة تركناها على اصلها ل . ش

(٦٢) بسم الله الرحمن الرحيم

وهو عوني

كتاب ارسيس (؟) في تدبير الرجل لمنزلهِ

(قال) انّ امر المنزل يتمّ بأربع خصال : اوّلها المال والثاني الخَدَم والثالث المرأة والرابع الولد

١ المال وتدبيره

امّا المال فلانّ الخالق تبارك وتعالى وان كان جعل في الانسان القوى التي يحتاج اليها لقوام بدنهِ وصلاح امرهِ فانهُ قد جعلهُ مع ذلك متنقضاً مستحيلاً متقضّياً (كذا) ولذلك صار الانسان محتاجاً الى ان يستمدّ ويستردّ مكان ما يتحلّل منهُ اعني بقولي القوى: اي القوّة التي ينزع بها (كذا) كلّ واحد من اعضائهِ ما يشاكلهُ من الغذاء بالمقدار الذي يحتاج اليهِ . والقوّة التي تُحيل ذلك الغذاء وتقلبهُ حتى يصير شبيهاً بالعظو (بالعضو) الذي يغتذي منهُ . فان كان المُغتذى بهِ لحماً صار لحماً وان كان عظماً صار عظماً وان كان عَصَباً صار عصباً . والقوّة التي تحفظ على العضو ما اجتذب اليهِ ما دام سيالاً حتّى يجمد ويتّصل بهِ . والقوّة التي تنفي عن كلّ واحدٍ من الاعضاء ما يبقى من ذلك الغذاء من الفضل ممّا يَبْعُد من طبعهِ فلا يقوى على قبلهِ وإحالتهِ الى طبيعتهِ (٦٣) . والقوّة التي تنميهِ وتمدّهُ حتى يزيد [يزيد] في طولهِ وعَرْضهِ وعمقهِ على مقادير اجزايهِ (اجزائهِ)

فاقول انهُ وان كان قد جعل [الله] في الانسان هذه القوى كلها وقوى أُخرى كثيرة معها بما يكون تدبيرُ بدنهِ فانهُ قد جعل فيهِ شيئين بهما قوامهُ واحدهما يُفني الآخر ويحلّلهُ . وذلك انّ قوامهُ بالحرارة والرطوبة ومن شأن الحرارة ان تحلّل الرطوبة وتفنيها فلذلك لا يمكن ان يقف على حالٍ واحدة ولكنهُ يتحلّل تحلّلاً دائماً متّصلاً ولذلك يحتاج الى ان يستمدّ مكان ما يتحلّل منهُ وهو العدي (الغذاء) الذي يفيد بهِ (يغتذي بهِ او يغذيهِ)

ولو كان البدن مع هذا من جنس واحد لكان الذي يحتاج اليهِ انّما هو نوع واحد من الغذاء لكنّهُ لمّا كانت اجزاؤهُ مختلفة احتاج لذلك الى أغذية مختلفة الانواع والطعوم وجميعها من النبات والحيوان لأنّ غذاء كلّ شيء من اقرب الاشياء اليهِ وليس شيء اقرب الى طبيعة بدن الانسان من الحيوان والنبات . والنبات والحيوان محتاجان الى انواع من الصناعات حتّى يكونا ثمّ حتى ينميا بعد كونهما . امّا النبات فيحتاج الى ان يُزرَع او يُغرَس ثمّ يُسقَى ويُرَبّى الى غير ذلك ممّا فيهِ تمام الانتفاع بهِ . واما الحيوان فالى ان يغتذي ويحرك (ويتحرّك) ويكبر (ويكبر) (٦٤) ما (وما) اشبه ذلك ممّا فيهِ مصلحه (مصلحتهُ)

ويحتاج ايضاً لجمع الغذاء وإعداده وتهيئه (وتهيئة) ما يكون به الانسان والحيوان الى صناعات اخر كثيرة مختلفة . والانسان وان كان قد جُعلت فيه قوة الاستنباط لكلّ صناعة وقوة التعلّم لها فليس يمكن الواحد من الناس لقصر عمره ان يستنبط ذلك ولا ان يتعلّمهُ لأنّ لهُ في استنباط صناعةٍ واحدة او تعلّمها شغلاً عن استنباط سائر الصناعات او تعلّمها . وان كان فيه احتمال لتعلّم كثيرٍ منها فليس فيه احتمال لتعلّمها كلّها والانسان محتاج في تدبيره معاشهُ الى الصناعات

والصناعات ايضاً مضمّنٌ بعضُها ببعض كالبناء الذي يحتاج الى النجّار والنجّار يحتاج الى صناعة الحدّادين وصناعة الحدّادين تحتاج الى اصحاب المعادن وتلك الصناعة الى البنّاء . فكل واحدة من الصناعات وان كانت تامّة في نفسها تحتاج الى الاخرى كما تحتاج اجزاء السلسلة بعضها الى بعض وان ارتفعت صناعةٌ واحدة بَطَلَ بارتفاعها الباقي من الصناعات . فلمّا كان كلّ واحد من الناس يحتاج في تدبيره (٦٥) امرهُ الى انواع مختلفة ممّا يغتذي بهِ ويستتر بهِ وكان يحتاج لذلك الى جميع الصناعات كان (وكان) لا يمكن ان يكون الواحد مُحكماً لجميع الصناعات صار الناس جميعها محتاجاً بعضهم الى بعض في تدبير معاشهم . ولهذه العلّة احتاج الناس الى اتخاذ المدن والاجتماع فيها ليعين بعضهم بعضاً بالصناعات

في حاجة الناس للنقود في المعاملات

ولمّا كان الناس محتاجاً بعضهم الى بعض ولربّما وقتُ حاجة كلّ واحدٍ منهم وقتَ حاجة صاحبهِ في اكثر الاوقات ولا مقادير ما يحتاجون اليهِ متساويةً ولم يكن سهلاً في الامور ان يُعلَم ما قيمة كلّ شيء من كلّ شيء . وما مقدارُ ثمنهِ من ثمنه وما مقدار أجرة كلّ شيء ممّا يُعمَل من اجرة كلّ شيء آخر أُحتيج الى شيء يُميَّز بهِ جميع الاشياء وتُعرَف بهِ قيمة بعضها من بعض . فمتى احتاج الانسان الى شيء ممّا يُباع او ممّا يُستعمَل دَفَعَ قيمة ذلك الشيء من هذا الجوهر الذي جُعل ثمناً للاشياء واحدة (كذا)

ولو لم يُجعل هذا هكذا لكان الذي عندهُ نوعٌ من الانواع التي يحتاج اليها صاحبهُ كالزيت والقمح وما اشبه ذلك وعند صاحبهِ انواعٌ أُخر لا يتّفق اذا احتاج هذا الى ما عند ذاك ان يحتاج ذاك الى ما عند هذا فتقع المبايعة (٦٦) بينهما . ولا يتّفق ايضاً ان وقع الاتفاق بينهما في حاجة كلّ واحد منهما الى ما في يد صاحبهِ ان

ينع الاتفاق بينهما في ان يكون يحتاج هذا ممَّا في يد ذاك الى ما يكون قيمة ما يحتاج اليهِ ذاك ممَّا في يد هذا فيقع الاختلاف اذ ذاك بينهما فإمَّا ان ينصرف كلّ واحد منهما عن صاحبهِ اذ لم يجد عندهُ تمام حاجتهِ وإمَّا ان يتبايعا . ثمَّ يحتاج احدهما ان يطلب تمام حاجتهِ من بائع آخر وكان يحتاج مع هذا الى ان يعلم كم قيمة الجزء من كلّ واحد من الانواع التي فيها مصالح الناس مثل العسل والسمن والقمح وغير ذلك من الانواع الأُخر على كثرة الانواع واختلافها في القيمة

واذا عُرف ذلك في وقت من الاوقات فقد يحتاج الى ان يُعرف في اوقات أُخر كلَّما تغيَّرت حال نوع من تلك الانواع بكثرة الجلب او قلَّتهِ وبما يعرض من حاجة الناس اليهِ واستغنائهم عنهُ وعن الاستكثار منهُ عند اختلاف الازمنة وما يستعمل الناس من كلّ نوع في كلّ زمان وكذلك الصناعات . فلذلك طبَع الناس الذهب والفضَّة والنحاس وثنَّوا بذلك جميع الاشياء واصطلحوا عليهِ لينال بهِ الانسان حاجتهُ في وقت حاجتهِ ويكون مَن يصير في يدهِ شيء اراد ان يُخلف بهِ ما خرج (٦٧) من يدهِ الى غير ذلك لم يتعذَّر ذلك عليهِ . فقد صار مَن حصَّل هذه الجواهر التي سمَّينا في يدهِ كأنَّ الانواع التي يحتاج اليها كلَّها قد حصلت في يدهِ . ولذلك احتيج في مصلحة المعاش الى هذه الامور . فنحن مبيّنون كيف يصلح التدبير في الاموال فنقول :

اكتساب المال وحفظهُ وانفاقهُ

انَّ الناظر في ذلك ينبغي ان ينظر في ثلثة اشياء : اكتساب المال ثمَّ حفظهُ ثمَّ إنفاقهُ

١ فامَّا ﴿اكتسابهُ﴾ (١ فينبغي ان تحذر (تُحذر) فيهِ ثلثة اشياء الجور والعار والدناءة . امَّا الجور فمثل البَخس في الوزن والطفيف (والتطفيف) في الكيل والمغالطة في الحساب والجحود للحقّ والدعوى بغير حقّ وما اشبه ذلك ممَّا يجتمع فيهِ مع الانام الموثقة (كذا) انهُ يزيل الاكتساب ويقطع المادَّة ويدعو الى الحرمان وذلك لما ينتشر فيهِ من سوء الثناء فيصرف ذلك المعاملين عن صاحبهِ ويدعوهم مَن ابتُلي بهِ منهُ ان يخبر بهِ غيرهُ حتَّى ينقطع عنهُ مَن عامَلهُ ومن لم يعاملهُ حتَّى انهُ لو اقلع عن ذلك لم ينتفع بإقلاعهِ للامر الذي شاع لهُ وشُهر بهِ

١) اطلب Les Mémoires de l'Institut, XXX. 1re partie, 434-440

واما العار فمثل الشتم والصفع وما اشبه من الامور التي يحتملها بعض الناس لشيء ينالهُ (٦٨) ممَّن يفعل ذلك

واما الدناءة فأن يدَع الرجل الصناعة التي كان آباؤهُ واهل بيتهِ يعالجونها من غير عجز عنها الى صناعة أخسَّ منها كالرجل يكون آباؤهُ واهل بيتهِ إمَّا قادةَ جيوش واما وُلاةَ ثغور فيدع طلب ذلك وهو يقدر عليهِ ويقتصر على البناء والزَّمر وما اشبه ذلك . ولسنا نقول فيمن كان آباؤهُ في صناعة خسيسة فأقام عليها انهُ قد أتى دناءةً من الامر او فعل ما ينبغي ان يُذَمَّ عليهِ لكن نقول انهُ محمود اذ رضي بحظهِ ولم يتعدَّ طورهُ ولو تطلب واجباً (كذا) ان يطلب الى كل انسان صناعةً فوق الصناعة التي ورثهُ ابوهُ لوجب ان يقصد الناس كلهم الى صناعة واحدة وهي اعلى الصناعات فكان ذلك يُبطل سائر الصناعات وكانت تلك الصناعة ايضاً التي يقصدون اليها تبطل لأنَّها لا تتمُّ الَّا بالصناعات الأُخر اذا (اذ) كان الجميع مقروناً بعضهُ ببعض كما بيَّنا قبل . فهذا ما ينبغي ان يُنظر فيهِ من باب الاكتساب

٢ واما باب ﴿ الحفظ ﴾ فيُحتاج فيهِ الى خمسة اشياء : اولها ان لا يكون ما ينفق الانسان اكثر ممَّا يكتسب فانهُ متى فعل ذلك لم يلبث المال ان يفنى . والثاني (٦٩) ان لا يكون ما ينفق مساوياً لما يكتسب لكن يستفضل ما يكون عدَّة (عدَّةً) لهُ لحادثٍ ان حدث او آفةٍ ان نزلت او ضيقةٍ ان كانت . وايضاً فانَّ من العدل ان يكون لرأس المال حصَّة من النفقة . ويشبه حالُ مَنْ فعل ذلك حال البدن الذي هو في النشوْ والنماء . ويشبه حالُ من كانت نفقتهُ مساويةً لكسبهِ حالَ من قد انتهى نشوْهُ وانقطع نموُّهُ . فاما حال مَن ينفق اكثر ممَّا يكتسب فانها تشبه حال الابدان الهَرمة الذي (التي) لزمها النقص ودبَّ فيها الفناء . وذلك انَّ البدن الذي هو في النشوْ والنماء يغتذي باكثر ممَّا يتحلَّل منهُ والبدن الذي قد انتهى منتهاهُ يغتذي بمقدار التحلُّل والبدن الذي قد صار الى الهرَم يغتذي باقلَّ ممَّا يتحلَّ منهُ . فكما انَّ البدن الذي قد صار الى الهرم قريب من الموت فكذلك المال الذي يؤخذ منهُ اكثر ممَّا يزاد فيهِ سريعٌ الى النفاد . والثالث ممَّا يُحتاج اليهِ في حفظ الاموال أن لا يَمُدَّ الرجل يدهُ الى ما يعجز عن القيام بهِ كالرجل يشغل مالهُ في ضيعةٍ لا يقوى على عمارتها او في ضياع متفرِّقة لا يمكنهُ مباشرتها وليس لهُ مَنْ يُعينهُ على القيام بها او يتَّخذ

من الحيوان ما يتجاوز النفقة عليهِ مقدار (٧٠) ما يبقى من مالهِ . وحالُ مَنْ فعل ذلك يُشبه الشرهَ الذي يأكل ما لم يَستمرِئهُ . فكما انَّ من اكل ما لم يستمرِئهُ لم يُغذِهِ بل ربَّما خرج منهُ واخرج معهُ من بدنهِ ما يضرُّ بهِ خروجهُ فكذلك مَنْ تعاطى من الاكتساب ما يتجاوز طاقتهُ كان وشيكاً ان لا يفوتهُ الربح فقط دون ان يذهبَ رأس مالهِ . والرابع مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان لا يشغل الرجل مالهُ في الشيء الذي يُبطئ خروجهُ من يدهِ وانما يكون ذلك في الشيء الذي يقلّ طلّابهُ وتستغني عوامُّ الناس عنهُ كالجوهر الذي لا يحتاج اليهِ الّا الملوك وكُتُب العلم التي لا يطلبها الّا العلماء . والخامس مما يُحتاج اليهِ في حفظ المال ان يكون الرجل سريعاً الى بيع تجارتهِ بطيئاً عن بيع عقاراتهِ وان قلّ ربحهُ في ذلك وكثر ربحهُ في هذا

٣ واما ﴿ إنفاق ﴾ المال فينبغي ان يحذر فيهِ خمسة اشياء : وهي اللؤم والتقتير والسَّرف والبَذَخ وسوء التدبير . فاما اللؤم فهو الامساك عن الانفاق في ابواب الجميل مثل مؤاساة القرابة والافضال على الصديق وذي الحرمة والصدقة في المحاويج بقدر ما يمكنهُ ويتَّسع لهُ . واما التقتير فهو التضييق فيما لا بُدَّ منهُ مثل أقوات العيال ومصالحهم . واما السَّرَف فهو الانهماك في الشهوات (٧١) واللّذات . واما البَذَخ فهو ان يتعدّى الرجل ما يتَّخذهُ اهل طبقتهِ طلباً للمباهاة . واما سوء التدبير فهو ان يوزّع الرجل نفقتهُ على جميع ما يحتاج اليهِ بالسوء حتى يصرف الى كل بابٍ منها بقدر استحقاقهِ فانهُ اذا لم يفعل ذلك وأسرف في واحدٍ ونقّص من الآخر كانت امورهُ غيرَ متناسقٍ بعضُها بعضاً وأن لا يتَّخذ الشيء في وقت الحاجة اليه

فاللئيم يُؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الجميل وما فيهِ من الفضيلة . والمقتِّر يُؤتى من قِبَل انهُ لا يعرف الواجب وما في تركهِ من النقص . والمُسرف من قِبَل ايثارهِ اللذَّة على صواب الرأي . فاللئيم والمقتِّر ممقوتان عند الله لانهما على طرق من الجور والمقتِّر خاصَّةً فانهُ أجورُهما . والمُسرف مذموم ممقوت ومَنْ مَقَتَهُ الناس او ذمُّوهُ لم يكن لهُ في مجاورتهم خير ومَنْ لم يجاور الناس فقد صار في عدد الاموات الّا انَّ صاحب البذَخ اسوأ حالاً . وذلك لأن اللئيم والمقتِّر وان كان الناس يمقتونهما فانهما على حالٍ يرجى حفظ اموالهما . والمسرف وان كان مذموماً فانهُ يربح التمتُّع بلذّاتهِ واما صاحب البذَخ فانهُ لا مال لهُ يُحفَظ ولا لذَّة يتمتَّع بها . واسوأهم جميعاً حالاً من كان يسيء

التدبير وانما يُوثق من قبل انهُ لا يعرف (٧٢) مقادير النفقة ولا اوقاتها. فمَنْ عرف ابواب الحقّ اللازم واوجبها على نفسهِ واقتصد في الإنفاق على لذّاتهِ ولم يتعدَّ ما يفعلهُ اهل طبقتهِ وعرف مقادير ما يستحقّ كلُّ باب من الابواب ممَّا يحتاج اليهِ وأنفق فيهِ بقدر استحقاقهِ ولم يرد (يزد) في بابٍ فيضطرّ الى تقصير في الآخر وعرف اوقات الحاجة اليهِ فلا يفسد او يضيع الى ان يحتاج اليهِ ولم يؤخر شيئاً حتّى يفوت وقت الحاجة اليهِ فيصير اتخاذهُ لهُ بعد ذلك باطلاً او يعزّ عليهِ فلا يجدهُ الّا بالغلاء. فتى لزم الانسانُ ما ينبغي من فعلٍ او تركهِ حينئذٍ يُنسَب الى الكرم والسخاء والاتساع والمؤاساة والقصد والحرمة (والحرّية ؟) وحسن السيرة والعيش. ومن كان كذلك فاذا كانت غلّتهُ او ربحُ مالهِ يقوم بنفقتهِ على مصلحة بدنهِ ومؤونة عيالهِ ويفضل لهُ عن ذلك ما يصرف بعضهُ في مؤاساة قرابتهِ واصدقائهِ واهل الحرمة بهِ وبعضاً في قرائهِ ومساكينهِ ويذّخر بعضاً ليستظهر بهِ على دهره ونوائبه فينبغي لهُ ان لا يطلب اكثر من ذلك فانَّ المطلب لأكثر منهُ شرهٌ وهذا هو الحدّ الذي لا ينبغي للحرّ ان يتعدّاهُ فان تعدّاهُ نُسب (٧٣) الى الشره. فهذه حال المال والتدبير في اكتسابهِ وحفظهِ وإنفاقهِ

٢ في تدبير العبيد والخدام

ولمّا العبيد والمماليك (١ فالحاجة اليهم في المنازل كالحاجة الى جميع الناس في المدن وقد بدّنا لأي شيء احتاج الناس الى ان يتّخذوا المدن ويجتمعوا فيها. والعبيد ثلثة : عبدُ الرقّ وعبد الشهوة وعبد الطبع. فعَبد الرقّ هو الذي أوجبت الشريعة عليهِ العبوديّة. وعبد الشهوة هو الذي لا يملك نفسهُ لغلبة شهواتهِ وخواطرهِ عليهِ. ومَنْ كان كذلك فهو عبدُ سَوْ وانسانُ سَوْ لا يصلح لشيء. واما عبد الطبع فهو الذي لهُ بدن قويّ صبور على الكدّ وليس لهُ في نفسهِ تميز ولا معهُ من العقل الّا مقدار ما ينقاد بهِ لغيرهِ ولا يبلغ بهِ الى ان يقدر يدبّر نفسهُ وهو في طبيعتهِ قريبٌ من البهائم التي تصرفها الناس كيف شاؤوا. ومن كان كذلك وان كان حرًّا فهو عبد والأصلح لهُ ان يكون عليهِ رئيس يدبّرهُ

١) اطلب Mémoires de l'Institut, XXX, 1re partie, p. 434

والعبيد يُحتاج اليهم لأشياء. فمنهم مَنْ يُراد لتدبير المنزل ومنهم من يُراد للخدمة والمناولة ومنهم من يُراد للاعمال الجافية. فينبغي للرجل اذا اراد شرى مملوك ان ينظر اليهِ فان كان جمَع مع عبوديَّة الرقّ عبوديَّةَ الشهوة فينبغي ان لا يتعرَّض لشرائهِ ولا ان يوطّن نفسهُ على قصدهِ وتقويمهِ ان طمع في (٧٤) ذلك. ومن اشترى عبدًا هذه حالهُ فقد اشترى عبدًا له مَوالٍ غيرهُ. واذا كان كذلك فليس هو عبدهُ الَّا بالاسم واذا كان الانسان لا يملك نفسهُ فغيرهُ احرى بان لا يملكهُ. وان كان المملوك حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً قويَّة وبدنهُ بدن لطيف (بدناً لطيفاً) فهو ممَّن يوكَّل بالتدبير والحفظ. وان كان حرًّا بالطبع وكانت نفسهُ نفساً ليّنة دليلة (ذليلة) وبدنهُ بدناً صافياً فهو ممَّن يوكل بالخدمة والمناولة. وان كان عبدًا بالطبع وُكِّل بالاعمال التي يُحتاج فيها الى الشدَّة والصبر

والعبيد يشبَّهون باعضاء البدن الذي (التي) تملك الانسان افعالها. امَّا الموكلون بحفظ المنزل وتدبيرهِ فهم بمنزلة الحواسّ لانهُ بالحواسّ يُعرف ما يضرّ فيُدفع وما ينفع فيُجتلب. والموكلون بالخدمة يُشبَّهون باليدين لأنَّ بهما يتوصَّل الى إدخال المرافق الى البدن والموكلون بالاعمال يُشبَّهون بالرِّجلين لأنَّ عليهما كلّ البدن وثقلهُ. فينبغي للرجل ان يحفظ مماليكهُ كحفظهِ لاعضائهِ وان يفكّر لهم في امرين: احدهما الجنس الذي يجمعهُ واياهم والآخر فيما ابتُلوا بهِ. فانهُ اذا فكَّر في جنسهم علم انهم اناسٌ مثلهُ ويمكنهم ان يفهموا ما يفهم ويفكروا فيما يفكّر فيهِ ويشتهوا ما يشتهي ويكرهوا ما يكرهُ وانهُ متى عاملهم على حسب ذلك اكتسب (٧٥) مع الفضيلة التي تصير لهُ في نفسهِ المحبَّةَ ممَّن يرق (يُرزَق) المُلك عليهِ. واذا تفكّر فيما ابتُلوا بهِ علم انَّهُ لو ابتُلي بمثلهِ لأحبَّ ان يُرزق مولًى يرقُّ عليهِ ويترفَّق بهِ

واذا جاءت من المماليك الزلّات فينبغي للسيِّد ان يتغافلَ عنهُ مرَّةً ويقوّمهُ أُخرى. ويكون تقويمهُ اياهُ اولاً بالعتاب والتحذير والإنذار فان عاد فبالغضب وان عاد فبالضَّرب. ولا يعاقبهُ على ذنب اتاهُ من غير معرفة ولا تعمُّد بلا يترك عقوبتهُ على ذنب اتاهُ عن شرارة وخُبث. ولا ينبغي اذا اساء المملوك ان يُعاقب الَّا بمثل ما يعاقب بهِ الولد اذا اشي (اساء) مثل تلك الاساءة. ذلك اصلحُ للمملوك والولد جميعاً

ويجب ان يُجعل للمماليك اوقات راحة فانَّ المملوك اذا أُرْدِف بعملٍ على عمل وكُلِّف نصَباً بعد نصَب ولم تكن لهُ راحة فَتَر عن الخدمة وان كان حريصاً عليها. والراحة تجدّد قوّة البدن وتحبّب الى صاحبهِ العمل . ومَثَلُهُ في ذلك مثَل القوس فانها ان تُرِكت (تُرِكت) موتَرةً استرخت وان حطت (حُفِظت) الى وقت الحاجة اليها دامت شدَّتها وكان اجدر ان يُنتَفَع بها . وانَّا لنعجب من قوم نراهم يُعنَون بدوابّهم ويَحرَصون على راحتها وعلى الاحسان اليها ولا يُعطُون مماليكهم نصيباً من ذلك . والمملوك وان لم يكن محتملًا من الراحة ما تحتملهُ الدابّة (٧٦) لأن كسر (كُثْر) الراحة ربّما ابطرهُ وفرّغهُ لِما يضرُّهُ والدابّة ليست تشبههُ في ذلك فانهُ غير مستغنٍ (مستغنٍ) من الراحة عمَّا يسبدر (يستدبر) قوّتَهُ ويستدعي نشاطهُ ولا يبلغ المقدار الذي يُخاف عليه ضررهُ . وبعد فهو من جنس المالك لهُ فقد ينبغي لمالكهِ ان يمزج مع توحي (توخي) حسن التدبير فيهِ الى الرحمة لهُ لما يتذكَّر من ضعفهِ فان دابّتهُ اجمل للتصييع (للتضييع) منهُ

ولا ينبغي لاحد ان يغتنم (يغتمّ؟) من مملوكهِ ان يكون يرى انهُ لا بُدَّ لهُ من قبول امرهِ شاء او ابا (أَبى) بل يلتمس ان تكون خدمتهُ لهُ بالمحبَّة منهُ لذلك والنشاط لهُ والحرص عليهِ . وينبغي ان يحرص على ان يكون انقياد (انقياد) مماركهِ بالحياء اكثرَ منهُ بالخوف . وبالمحبَّة اكثرَ منهُ بايجاب الطاعة

وافضلُ المماليك الصغارُ لانهم احسنُ طاعةً واسرعُ قبولاً لِما يعلَّمون وهم الذين يألفون الموالي ويلزمون ما يجرون عليهِ من الاخلاق . وخيرُ المماليك للرجل من لم يكن من جنسهِ لأنَّ الناس مولعون باستصغار اقاربهم واحتقارهم . فللمجانسة من هذا نصيبٌ . ومن حقّ المملوك ان يُكفى كلَّ ما يحتاج اليهِ وان لا يكلَّف ما لا يقدر عليهِ ولا يحلُّ لهُ . وعليهِ الطاعة فان لم يُطع بعد هذا وجبَت عليهِ العقوبة على ما وثَبنا من حالٍ بعد حال . وينبغي ان يكون للمماليك عند مواليهم مراتب من (٧٧) الاحسان والتفضيل واذا احسن احدهم رفعهُ من مرتبة الى مرتبة بقَدْر استحقاقهِ فانَّ ذلك حثٌّ (حثٌّ) للباقين على ان يلحقوا بهِ . فهذا ما قلنا بالمماليك بعد الذي قلنا في المال

٣ في تدبير المرأة

فاما المرأة(١ فاوّل ما ينبغي ان يبتدئ بهِ مَن ذكرَها الإخبارُ عن الغرض الذي تراد لهُ فنقول: انّ ذلك الغرض شيئان احدهما من طريق الرأي والآخر من طريق الطبع. فاما الذي من طريق الرأي فهو انّ اكثر اشغال الرجل خارجٌ (خارجاً) من منزلهِ. فهو مضطرّ الى إخلائهِ من نفسهِ والخروج عنهُ ولا بُدَّ لهُ اذا كان كذلك ممّن يحفظهُ لهُ ويدبّر لهُ ما فيهِ وليس يمكن ان يبلغ احدٌ من العناية بشيءٍ غيرَهُ ما يبلغهُ من العناية بنفسهِ. فلمّا كان الامر على هذا كان اصلحُ الاشياء للرجل ان يكون لهُ في منزلهِ شريك يملكهُ كملكهِ هو لهُ ويُعنَى بهِ كعنايتهِ ويكون تدبيرهُ فيهِ كتدبيرهِ. فهذا هو الباب الذي دعا اليهِ الرأي ودلّ عليهِ الاختبار

واما الباب الآخر الذي يوجبهُ الطبع فانّ الخالق تبارك وتعالى لمّا جعل الناس يموتون وقدّر بقاء الدنيا الى وقتٍ جعلَهم يتناسلون وجعل التناسل من شيءٍ يجمع فيهِ الحرارةَ والرطوبة. فاما الحرارة فلانّ النشوَ والنماء والحركة لا تكون الّا بها. واما الرطوبة فلانّ الانطباع والتصوير على (٧٨) اختلاف مقاديرهِ واشكالهِ لا يكون الّا فيها. وليس للرطوبة مع الحرارة ثبات ولا بقاء لانّ الحرارة تحلّلها وتُفنيها منها فلا يوجد من كلّ واحدٍ منهما في بدن واحد مقدارُ القوّة التي يكون منها الولد فلذلك صار الولد من ذكر وانثى لأنّ الحرارة في الذكر اقوى والرطوبة في الانثى اكثر فاذا التقى الذكر في الانثى من الحرارة ما قدّر الخالق ان يكون من مثلهِ الولد استدّت تلك الحرارة من الانثى من الرطوبة ما يكون فيهِ تمام الخلق ثمّ الولد

ثمّ من تمام التدبير في ذلك انهُ حيث جعل [الله] في الرجل الطبيعة التي يميل بها الى الحركة والظهور والتصرّف وكانت بهِ حاجة الى من يقوم مقامهُ في منزلهِ جعل في الانثى الطبيعةَ التي تميل بها الى السكون والاستتار لتقوم مقامهُ فيما فقد من نفسهِ من الصبر على لزوم منزلهِ ويقوم مقامها فيما فقدت من نفسها من الحركة في طلب المعاش. ثمّ جعل بينهما من المحبّة والفه (والألفة) ما ارتفع معهُ الحسد والمنافسة والبخل من كل واحد منهما على صاحبهِ فيما يحرز لهُ من مالهِ واطلق لهُ من التدبير فيهِ. ولو زال

(١ Mémoires de l'Institut, XXX. p^me partie, p. 433

ذلك لكان شغلُ كلّ واحد منهما بصاحبهِ اكثرَ منهُ بغيرهِ للمقارنة والشركة وقُرب المتناول لكنهُ (٧٩) جعلها كأنهما نفس واحدة

فالواجب على المرأة الاذعان للرجل والطاعة لهُ والتذلُّل فيما يأمرها بهِ اذ كان قد جاد لها بمنزلهِ وملّكها اياهُ ولم يستأثر عليها بشيء منهُ . فانها وان قالت انهُ انما فعل ذلك لانهُ اصلحُ لهُ فليس قولها هذا مما يُبطل عنها مِنّتهُ ويُزيل عنها رئاستهُ لأنَّ جميع ما يأتيهِ الانسان من الاحسان وان كان يرجع اليهِ فضلهُ وحسن الذكر فيهِ وكانت المنفعة لهُ في ذلك اكثر منها لمن يصل ذلك الاحسانَ اليهِ فليس ذلك مما يزيل الشكر عن مَن أحسن اليهِ ولا يجعل لهُ السبيل الى كفران نعمتهِ

فينبغي للرجل اذا اتخذ المرأة ان يبدأ فيُفهمها المعنى الذي ارادها لهُ وانهُ لم يُردها للولد دون العناية بهِ والتفقُّد لامورهِ في حضورهِ وغيبتهِ وصحّتهِ ومرضهِ وحفظ جميع مالهِ ومعرفتهِ على جميع لمرهِ وما يجب عليهِ من ذلك للأسباب التي شرحناها . ولا ينبغي ان يكون قصد الرجل من المرأة لحسبٍ ولا مالٍ ولا جمال لانهُ متى قصد لواحدٍ من هذه وكان موجودًا عندها رأت المرأة انهُ قد ظفر ببغيتهِ منها ولم يبقَ عليها شيءٌ تحتاج الى ان تتقرّب بهِ اليهِ بل تظنّ أنها ان [اساءت] اليهِ او قصّرت في حقهِ كان فيما نال من حاجتهِ منها ما (٨٠) يجب عليهِ احتمال ذلك معهُ وانهُ اولى بطاعتها والتذلُّل لها منها بان تفعل ذلك بهِ . وعند ذلك يفسد تدبير المنزل اذ كان الاخسّ من صاحبيهِ قد صار في مرتبة الافضل اماً تابعاً للاخسّ ولماً مُنازعاً لهُ ومحارباً فيما يخالفهُ فيهِ . ومع المنازعة الشغل ومع الشغل التضييع . فليس يصلح امرُ المنزل الّا بان يكون افضل مَن فيهِ هو الرئيس على سائر اهلهِ ويكون سائر اهلهِ سامعين مطيعين لهُ

وقد بيّنّا الغرضين اللذين تُقصد لهما المرأة وهما الولد وتدبير المنزل فينبغي أن ينظر ما الذي يُحتاج اليهِ لهذين الغرضين حتّى يُطلب وأمّا الحسب والمال والجمال فليس من ذلك في شيء بل ربما ضرّت هذه الوجوه كلّها لأنَّ الجمال يُكثر مَن يرمقهُ ويُبصرهُ فربما كان ذلك سبباً لفساد صاحبهِ . والحسب يدعو صاحبهُ الى الاتكال عليهِ وترك كثير مما يزينهُ . والمال ينظر (يُبطر) الرجل في نفسهِ ورأيهِ . فكيف بالمرأة التي هي الى نُقص ما هي

فالذي يحتاج اليهِ الولد من المرأة أمران : احدهما من البدن والآخر من النفس . فالذي من البدن صحّةُ البنية والذي من النفس صحّة العقل فانهُ [ليس] مع سقم البدن وفساد العقل غاية . اما تدبير المنزل [فيحتاج] الى فضائل كثيرة اوّلها العقل والكيس ثمّ قوّة النفس والبدن (٨١) مع ضبط النفس والكفّ لها عن الشهوات . ثمّ ذلّة النفس لتستعمل ذلك فيما بينها وبين زوجها . ثمّ رقّة القلب لتستعمل ذلك فيما بينها وبين ولدها . ثم العدل في السيرة لتستعمل ذلك فيما بينها وبين خدّمها . فلا ترى شيئاً مما يحتاج اليهِ الرجل من الفضائل الّا وقد تحتاج المرأة الى مثلهِ بل [اكثر] لانها اضعفُ وهي الى اكتساب الفضائل أحرَج

واذا كان ليس كل نفس تقبل الفضائل بالتأديب فقد ينبغي للرجل ان يجتهد في اتخاذ من يعينهُ على قبول الفضائل بالطبع ليمكنهُ ان ينعى (يُبقي) على ما عندهُ ويريد (ويزيد) فيهِ . وليس يستقيم امر المنزل حتى يُوافق خُلقُ المرأة خلقَ الرجل وطريقةُ وليس يوافق خُلقُ مرة (امرأة) السوْ وطريقها خلقَ الرجل السوْ وطريقةُ . ولا ينفعان (يتّفقان) الّا ان يكونا صالحين كما انّ العود المستوي لا يطابق الّا العود المستوي فاما العود المعوجُّ فانهُ لا يطابق المستويَ ولا المعوجَّ لأن الاستواء طريق واحد والاعوجاج الى طرق كثيرة . فلذلك يحتاج الرجل والمرأة جميعاً ان يكونا عاقلَين عفيفين مُنصفين وان لم يكونا كذلك لم يتّفقا وفسدَ تدبير منزلها

ومن شكَّ فيما قلنا من انهُ يحتاج الى ان يجتمع في المرأة جميع الفضائل [يتحقّق] ذلك بأنهُ لا يشكّ انها قيّمة المنزل ومدبّرتهُ والمفكّرة فيما (٨٢) يصلحهُ والمتولّية لسياسة مَن فيهِ من الخدم وغيرهم . فهل يكون التدبير الّا من ذي عقل ومعرفة ؟ وهل تكون السياسة الّا من ذي رفق وأناة مع الشدّة في موضع الشدّة ؟ وهل تكون المصلحة الّا مع الضبط والحفظ ؟ وهل يكون حسن القيام الّا مع الكَيْس والذكاء ؟ وهل يتمّ هذا كلهُ الّا مع صيانة النفس واطّراح الشهوات واللذّات الّا ما حَسُن منها وبَعُد عن الغلوّ ثمّ الصبر على الأذى واحتمال المشقّة والسخاء بالنفس والانقياد للعدل ؟ والّا فكيف يصون منزلهُ من لا يصون نفسهُ ؟ وكيف يتفرّغ (يتفرّغ) لما يُصلحهُ من هو مشغول بشهواتهِ ولذّاتهِ ؟ وكيف يضبط مَنْ تحت يدهِ مَنْ قد عجز عن ضبط نفسهِ ؟ وكيف يدوم على الطريقة مَنْ لا صبر لهُ ؟ وكيف

يصبر على مؤونة الولد في تربيته والقيام بشأنه وعلى خدمة الزوج مَنْ لا احتمال له ؟ وهل وُبِّر (يوثر؟) على نفسه الا من في نفسه من القوة والنجدة ما يسهل ذلك عليه؟ وهل يصبر على الظلم [الا] من كان الانصاف والعدل اقلّ ما عندهُ ؟

فانهُ ليس لاحد ان يقوى [على] المرأة فيشفق ما بينها وبين زوجها وما بينها وبين ولدها [لكي ؟] تخيّر ظلمهم لها على ظلمها لهم وتحتمل عصبهم (غضبهم) وجهم (وجهتهم) [وا ستبدادهم] في اوقات ضجراتهم (ضجراتهم ؟) وعند العلل التي تعرض لهم ثم تريهم ان [الفضل ؟] في ذلك(٨٣) كله لها دونهم ثمّ لا تحقدهُ عليهم ولا يكون في نفسها منهُ شيْ بل اذا ذكّرتهُ في بعض الاوقات جدّد لها رقّةً عليهم ورحمةً لهم وجعلتهُ مكان الاعتذار به عليهم ذكرًا لتلك الحالات التي دعتهم اليها من ضجر (ضجر) او اغتمام او علّة قربت لهم من ذلك وتفجّعت له وكانت امنيتها ألّا ترى مثل ذلك لنفسها وانها تكره مثل الذي كان منهم ولكن ابقاء عليهم وشفقةً من كل ما أذاهم وغيّر حالهم . فاين نفسٌ اكل من نفس تجتمع فيها هذه الخصال واذا اجتمعت هذه الخصال في المرأة فقد سعدت في نفسها وسعدَ بها زوجها وولدها وشرُفَ بها اهلُها وصارت قدوةً للنساء.

ثمّ يتلو امر المرأة امر الولد فاقول :

٤ في تدبير الولد

انّ افضل الولد ما كان من حُرّةٍ صحيحةِ البدن صحيحة العقل جامعةٍ لهذه الخصال فهذا هو اوّل صلاح الولد والاساس الذي بُني عليه تأديبهُ ويقوّم طريقتهُ . وينبغي أن يؤخذ بالادب من صغره فانّ الصغير أسلسُ قيادًا واسرعُ موّاناةً ولم تتغلب عليهِ عادةٌ تمنعهُ من اتباع ما يُراد منهُ ولا لهُ عزيمةٌ تصرفهُ عمّا يؤمر بهِ . فهو اذا اعتاد الشيْ ونشأ عليهِ خيرًا كان او شرًّا لم يكد ينتقل عنهُ فان عرّد من صباه المذاهب الجميلة والأفعال المحمودة بقي عليها (٨٤) ويزيد (ويزيد) فيها اذا فهمها . وان أهمل وتُرك حتّى يعتاد ما تميل اليهِ طبيعتهُ ثمّ أخذ بالادب بعد عليه (غلبة) تلك الامور عليهِ عَسُرَ انتقالهُ على الذي يؤدبهُ ولم يكد يُفارق ما قد جرى عليهِ . فانّ اكثر الناس انّما يربّون (يرثون ؟) سوءَ مذاهبهم من عادات الصباء فانهُ لم يكن يقدّم (مُقوّمٌ) لهم في الآداب

وقد رأيت كثيراً لا يُحْصَون يعلَمون انَّ مذاهبهم مذاهب رديئة ولا تخفى (تُخْفَى) عليهم الطرق المحمودة ويعسر عليهم الرجوع الى تلك الطرق لعلة (لغلبة) تلك المذاهب عليهم . فان حملوا انفسهم عليها في بعض الحالات حياء من الناس في الظاهر لم يعدموا اذا خلَوا ان يرجعوا الى المذاهب الأُخر التي قد غلبت عليهم وتمكَّنت في طباعهم

ورأيتُ ايضاً كثيراً من الاولاد ما دام اباهم (آباؤهم) وغيرهم ممَّن يأخذهم بالادب أحياء فهم ملازمون الطريق المحمودة فاذا فقدوهم صاروا الى اخبث الطرق وارداها . وليس من الاسباب شيء اقوى في ذلك من عادة الصباء الَّا انَّ الصبيَّ اذا كان في طبعهِ ان يميل الى الاشياء الرديئة وسلك مع هذا طريق الاعتياد لما كان عليها أحرصَ واليها اسرعَ وفيها اشدَّ دخولاً حتَّى تستحكم فيهِ ولا يكون لهُ الى مفارقتها سبيل . وباداء (وباذاء ؟) هذا ان يكون الصبيّ جيّد الطبع (٨٥) يسلك بهِ طريق الاعتياد للخير . فيكون كلّ واحد من طبعهِ وعادتهِ مقوّماً لصاحبهِ حتَّى يقوى الخير فيهِ ويستحكم . فكما انَّ ذلك لا يقدر على مفارقة الامور [الرديئة لا يقدر هو مفارقة الامور] المحمودة . وفيما بين ذلك ان يكون الصبيّ جيّد الطبع ثمّ يُحمل على الاشياء الرديئة او يتَّفق لهُ مقارنة اهلها او يكون رديء الطبع ثمّ يُحمل على الاشياء المحمودة او يتَّفق لهُ ان يرى من يسلكها . فهذان قد تنقلهما العادة عن الطبع وقد يمكنهما النزوع بعد ذلك عن العادة والرجوع الى ما عليهِ البنية (البيئة) . واصلح الصبيان من كان بينهم مطبوعاً على الحياء وحبّ الكرامة وكانت لهُ أنفة . واذا كان ذلك كان تأديبهُ سهلاً . ومن كان منهم قليل الحياء مستخفاً بالكرامة بعيداً من الانفة عسر تأديبهُ . ولا بُدَّ لمن كان كذلك من تحريف (تخويف) عند الاساءة وإفزاع ثمّ الاحسان اذا احسن . فاما الذي لهُ انفة وفيهِ حبُّ الكرامة فالمدح والذمّ يبلغان منهُ عند الإحسان والاساءة ما لا تبلغهُ العقوبة والعطيَّة من غيرهِ . وينبغي ان يُتفقَّد الصبيّ في جميع حالاتهِ من مطعمهِ ومشربهِ ونومهِ وقيامهِ وقعودهِ وحركتهِ وكلامهِ وجميع امورهِ . ويُعلَّم في جميع هذا تجنُّب القبيح والقصد الجميل فانهُ اذا عرف الجميل (٨٦) والقبيح في هذه الاشياء وقاما في نفسهِ تنبَّه عليهما وفهمهما في غيرهما من جميع الامور ولم يحتج في كثير من ذلك الى تقويم وأنا مبيّنٌ لك طريقاً الى ذلك فأوَّله امر الطعام فاقول :

ادب الولد في الطعام

انهُ ينبغي ان يعوَّد الصبيّ ان لا يبادر اليهِ حتّى يوضع ولا ينظر اليهِ نظر الشَّره وان يُحتال في تصغير قدْر الطعام في عينهِ وان ظهر منهُ شيْ من الشره انْ يعيَّر بهِ ويبيَّن لهُ قبحهُ ويُعلَّم انّ الشَّرَه من طريقة الخنزير فمن شاركهُ فيهِ لم يكن بينهُ وبينهُ فرقٌ . واذا جلس على الطعام مَن هو اكبر منهُ فلا يمدّ يدهُ الى الطعام قبلهُ الّا ان يُؤمر بذلك ولا يأكل الّا من بين يديهِ ولا يكثر من مدّ يدهِ مرّةً الى شيْ ومرّةً الى آخر ولكن يقتصر في اكثر اكلهِ على شيْ واحد . ولا يرغب في كثرة الالوان ولا يُسرع في الاكل ولا يعظّم لُقمتهُ ولا يلطّخ يديهِ ولا فمهُ ولا ثيابهُ ولا يلطخ اصابعهُ ولا يكون آخر مَن يرفع يدهُ عن الطعام ولا ينظر الى احد ممَّن يأكل معهُ ولاسيَّما ان كان غريباً

وينبغي ان يفهم الصبيّ انّ الطعام انمّا يُحتاجُ اليهِ كما يُحتاج الى الدواء فكما انهُ ليس يُقصد من الدواء الى ان يكون لديذاً (لذيذاً) او كثيراً (كثيراً) وانمّا يُقصَد الى منفعتهِ فكذلك ليس القصد من الطعام الى لذّته (لذّته) ولا كثرته (كثرته) وانمّا القصد الى (٨٧) مقدار منفعتهِ . ويعوَّد الصبيّ ان يُنيل مَن سألهُ ممّا يطعم فانهُ يستفيد من ذلك ضَبْط الشهوة والسخاء والتجنُّب

ويعوَّد القناعة بأخسّ الطعام والاقتصار على الخبز (الخبز) بلا أدَم فانّ هذه العادة تُعينهُ على العفّة وخلاف النفس وقلّة الرغبة في المال . والرغبة في المال مذمومة في نفسها وهي مع ذلك ربمّا دعت الى اكتسابهِ من وجوه قبيحة اذا لم تتها (يتهيّأ) كسبهُ من وجوهه (وجوهٍ) جميلة . والقناعة بأخسّ الطعام جميلة بالفقير والغني الّا انّ الفقير اليها احوج وهي بالغنيّ اجمل . وينبغي للصبيّ ان لا يستوفي العداء (الغداء) وان استيفاءهُ للطعام وقت عشائهِ فانّ ذلك نافع لهُ في ذهنهِ وصحّة بدنهِ لانهُ ان استوفى طعامهُ بالنهار ثقل (ثَقُلَ) واعتراهُ الكسل واحتاج الى النوم وغلط (غلَظ) ذهنهُ عن قبول الادب . وليس ينبغي ان يعوّد الصبيّ التكاسل والنوم بالنهار بل يعوّد النشاط والحركة والحرص على الادب . وهذا التدبير ايضاً للرجل اجود فان عُوِّدَهُ من صباه كان اسهل عليهِ وانفع لهُ . ولا يكون اكثر اكلهِ اللحومَ والاشياء الغليظة فان تركها انفع لهُ في الذكاء وصحّة البدن وفي سرعة النشوْ لأنّ الغداء (الغذاء)

الثقيل يُثقل الطبيعة ويغمها من النشوء . ويعوّد (٨٨) الصبيّ الإقلال من الحلو والفواكه فانّ ذلك انفع له في نفسه وبدنه : أمّا في نفسه فلين (فلأنّه) لا يغلب عليه الترفه وحبّ اللذّات واما في بدنه فلسرعة استحالة الاشياء الحلوة والفواكه وفسادها في الابدان الحارّة . ويعوّد الصبيّ ان يكون شربهُ بعد الفراغ من طعامه فانّ ذلك اصلح لبدنه ونفسه . أمّا لنفسه فلضبطه لها واما لبدنه فلأن ذلك أعون له لاستمراء الطعام واجدر (واجدر) انيقوّي بدنهُ . وقد عرف ذلك من جرّبهُ وعلماء الاطبّاء يشيرون به والمستعملون الانبيده (الأنبذة) يعلمون به

ووقت الطعام بالنهار للصبي هو الوقت الذي يكون قد فرغ فيه من وظيفته التي يتعلّمها وتعب تعباً كافياً . ومتى رأيت الصبي يأكل الشيّ وهو يحبّ ان يخفى (يُخفى) اكلهُ اياهُ فامنعهُ منهُ فانّهُ لم يستر اكلهُ الّا وقد علم انهُ لا يحتاج اليه وانهُ في اكله لهُ مخطئ . ويعوّد الصبيّ ان لا يشرب الماء على عدائه (غذائه) ولاسيّما في الصيف فانهُ اذا شرب ثقل العدا (ثقُل الغذاء) وفتر بدنهُ وكسل ونفد الطعام ايضاً عن معدته سريعاً واحتاج الى غيره . وان كان الشتاء فهو مع ذلك يبرّد البدن . ويحمل (ويَحْمِلُ) بالصبيّ ان يضبط نفسهُ عن شرب الماء في اوقات سعله (شغله) بالتعلّم وحضور (وحضور) من يجب اجلالهُ . ولا ينبغي انّ يقرّب الصبيّ النبيذ (٨٩) حتى يصير الى حدّ الرجال لأنهُ يضرّهُ في بدنه ونفسه . أمّا في بدنه فلأنّهُ يسخّنهُ وهو لا يحتاج الى سخونة لحرارته واما في نفسه فاذا كان النبيذ يغيّر اذهان الرجال المحنّكين ويخرجهم الى السّخف وسرعة الغضب ورداءة الفكر والقحة والتهوّر فالصبيُّ احرى ان يفعل ذلك به (١ ودماغ (دماغهُ) مع هذا رقيق فبخار (فبخار) النبيذ يُسرع الى افساده لقوّته عليه . ولا ينبغي للصبيّ ان يحضر مجالس النبيذ الّا ان يكون مَن فيها من اهل الادب والفضل . فاما مجالس العوامّ فلا وذلك لما نحرا (يجري) فيها من قبيح الكلام ويظهر (ويظهر) في اهلها من السخف

ادب الولد في نومه ولبسه

واما النوم فمقدر (فيقدّر) للصبيّ منهُ مقدار (مقدار) حاجته ويُمنع من ان

١) جاء في الهامش : أقول : وعلى كلّ حال فترك الشراب اولى واحرى للصغير والكبير فانّهُ مادّة كلّ شرّ

يستعملهُ للتلد (للتلذذ) به فانَّ كثرة النوم ضارًّا (ضارَّة) لـهُ في بدنهِ ونفسهِ لانهُ يرخي البدن ويفتحه (ويفتحهُ) ويغلط الدهن (ويُغلّظ الذهن) ويميت القلب

وينبغي ان يُمنَع الصبيّ من ان ينام اذا اكل حتى ينحطّ الطعام ويستقرّ قرارهُ وينبه (ويُنبَّه) في السحر لينفض عن بدنهِ ما اجتمع فيهِ من الفضول والاوساخ فيخفّ لأنهُ ليس شيءٌ اعوَنَ على الذكاء من ذلك ولا ابلغ في نشاط البدن وصحّتهِ. ولا وقت اجود للمتعلّم من وقت الغداة والرجل ايضاً يحتاج الى ان يُنبَّه في السحر فاذا اعود (٩٠) (عُوّد) ذلك من صباهُ كان عليهِ اسهل. ويُمنع الصبيّ من النوم بالنهار الّا ان احتاج اليهِ لضعف او لعلّة. ولا يُعوَّد الصبيّ النوم بحضرة الناس لانهُ معما في ذلك من القبح يدلّ على انهُ ليس بمالكٍ لنفسهِ ولا ضابط لها عن اللذّة. والفراش الوطيء رديءٌ للصبي لانهُ يرخيهِ ويفتحهُ والصبيّ يحتاج الى ان يُصلَّب وتشتدّ نفسهُ. ولين (ولَيِّن) مال (ينال) الصبيَّ طرَفٌ من البرد في الشتاء ومن الحرّ في الصيف خيرٌ لهُ من ان لا ينالهُ شيءٌ منها (منهما) ومن لم يَنَلهُ شيءٌ من ذلك كان بدنهُ رقيقاً ضعيفاً وكانت نفسهُ ايضاً رخوة خوّارة. وكذلك المشي والمَدْو والركوب والحركة خيرٌ للصبيّ من السكون والدعة والحفظ (والحفظ ؟) والدلال

وينبغي ايضاً ان لا يُعوَّد الصبيّ لبس اللين والرقيق وان لا يلبر (يُكبَر) في نفسهِ هيبة اللباس وان يفهم ان ذلك انما (انَّما) يليق بالنساء والمترفين وانَّ ذلك يدعوهُ الى محبّة المال وقد بيّنّا ان محبّة المال رديئة في نفسها داعية الى ما هو اردى (اردأ) منها. ولا ينبغي ايضاً ان يخرج بلا رداء ولا يرخي يديه (٩١) ولا يضمّهما الى صدرهِ ولا يكسف (يكشف) ساعدهُ ولا يسرع في مشيهِ جدًّا ولا يبطئ فيهِ جدًّا فانَّ السرعة في المشيء تدلُّ على التهوّر والابطاء فيهِ يدلُّ على التيه والكسل. وكشفُ الساعد من فعل الوقاح وارخاء اليدين من الاستخفاف بالناس

ولا ينبغي ان يُربّى لهُ شعر ولا يزيَّن الصبيّ بشيءٍ من زينة النساء بل يُعرَّف قبح التصنُّع والغرض الذي يقصد اليهِ مَن يتصنَّع ويبغَّض اليهِ النسبه (التشبُّه) بالنساء ويحبَّب اليهِ النسبه (التشبُّه) بالرجال ولا يلبس الخاتم الى ان يحتاج اليهِ ويُمنَع ان يفتخر (يفتخر) بشيءٍ يملكهُ على من لا يملك مثلهُ ويُعاب ذلك عليهِ حتّى ينتهي عنهُ.

من هو اكبر منهُ والقيام لهُ عن موضعهِ وان لا يلومر (يُكرم) الغنيَّ الّا كما يكرم الفقير . ويؤخذ ايضاً باكرام من هو افضل منهُ في الادب والمعرفة وان كان اصغر منهُ سنًّا . ويُمنَع الصبيّ من التبزّق والامتخاط والتثاؤب والبجش (والتجشّي) وما اشبه ذلك بحضرة الناس لأنَّ فيه دليلًا على ضبطهِ لنفسهِ ونظافتهِ وشدَّة حياه (حيائهِ) . وليس يدلّ (تكثُر) هذه الافعال الّا في مَن أسرف في المطعم والمشرب والنوم والراحة . ولا يدعَم (٩٢) رأسهُ بساعدهِ ومَن فعل ذلك فقد دلَّ على انهُ بلغ من استرخائهِ وبفنخهُ (وتفنُّخهِ) ان لا يقدر على حمل رأسهِ الّا ان يفعلهُ صاحبهُ وقت الاغتمام (الاغتمام) والانكسار والضعف

ادب الولد في كلامهِ وتصرُّفهِ مع غيرهِ

ولا ينبغي للصبيّ ان يحلف بالله على حقّ ولا على باطل وذلك ايضاً جميلٌ بالرجل الّا انهُ ربَّما اضطرّ اليهِ وليس يعرض للصبيّ من الامور ما يضطرُّهُ الى اليمين . واذا اعتاد الانسان من صغرهِ ان لا يحلف بالله قلّ استعمالهُ لليمين اذا كبرُ وتوقّاها ولم يجسر عليها في اكثر الاشياء .

وينبغي ان يعوَّد الصبيّ الصمتَ وقلَّة الكلام وان لا يتكلَّم بحضرة من هو اكبر منهُ الّا بما يسئال (يُسأل) عنهُ . وانَّما ينبغي للصبيّ اذا حضر مجلس من هو اكبر منهُ ان ينصت (ينصت) لكلامهِ فانَّ الاستماع أعوَن لهُ على التعلُّم والصمتُ بكلامهِ يدلّ على الحكمة والحياء . وينبغي ان يُمنع الصبيّ من ذكر الاشياء القبيحة ويحذر (ويُحذَر) عليهِ ان يسمعها من غيرهِ فان ذكرها فاستماعها (فانَّ ذِكرها واستماعها) يولدانهِ (يوتيانهِ) بها واذا غاب ذِكرُها واستوحش منها كان لاتيانها (لإتيانها) اعيب (أغيَب) ومن ذلك اشدّ وحشةً . ولذلك ينبغي ان يحذر الصبي معاشرة مَن كان من الصبيان فيهِ جرأة وتقدُّم (٩٣)

وينبغي ان يُمنع الصبيّ من الشتم واللعن ويُعوَّد طيّبَ الكلام وحسن اللقاء وان لا يُسمع الدمر لدهِ (التذمر ؟) ممَّن يقصد الى تأديبهِ اذا جامنهُ الزلل والى تأديبهِ غيرهُ . ومن أنفع ما أدّب بهِ الصبيّ واجود ما عُوّدهُ استعمال الصدق وتجنُّب الكذب . وان كذب الصبيّ فينبغي ان يُلام ويُذمّ ويُعيَّر ويُضرَب إن أحوج الى ذلك . فانَّ افضل الفضائل الصدق واحسن (واحسَ) الدناءة واقبحها وارداها الكذب .

ومن يُعوَّد الكذب ونشأ عليهِ لم يفلح

وينبغي ان يُعوَّد الصبيّ خدمة نفسهِ ووالديهِ ومعلّميهِ ومن هو اكبر منهُ . واحرجُ الصبيان ان يؤخذوا بذلك اولادُ الاغنياء لأنَّ اولاد الفقراء يضطرُّون اليهِ فهم يعتادونهُ واولادُ الاغنياء ان لم وجدوا (يؤخذوا) بهِ لم يَدْعُهم اليهِ سبب . وفي ذلك لمن فعلهُ من الصبيان منفعة عظيمة لانهُ يخرج (يُخرَج) الصبيَّ ويُكسبهُ رجولة ودُرْبَةً ويعوّدهُ التواضع ويحتلب (ويجتلب) لهُ المحبَّة ويكون به مستعدًّا للمواساة (للتواسي) . ولا ينبغي للصبيّ إن ضربَهُ المعلّم ان يبكي ولا يصيح ولا يَضرَع فانَّ ذلك من الفشل والجُبن وانَّما يليق ذلك بالعبد لا بالحرّ . وقد قلنا انَّ من لم يكُ فيهِ من الصبيان أَنَفَةٌ (٩٤) عَسُرَ فلاحُهُ

وينبغي ان يؤدَّب الصبيّ على الحسد والبغي وغيرهما ويحبَّب اليهِ المباراة في الادب والأنفة من ان يتقدَّمهُ غيرهُ فيهِ . ويُعوَّد الصبيّ ايضاً الأَنَفَة من ان يبره (يَبُرَّهُ) قَرَنُهُ بشيء لا يبره (يبرُّهُ) بمثلهِ او اكبر (اكثر) منهُ وأن يأخذ شيئاً ويُعطي اقلَّ منهُ ومن ان يحبَّهُ قَرَنُهُ اكثر مما يحبُّه هو . والذي يليق بالكريم ان يبرَّ بأكثر مما يُبَرُّ بهِ ويعطي اكثر مما يأخذ . ويليق بالمتحبب ان يُحِبَّ اكثر مما يُحَبّ . وان لم يمكن الصبيّ ان يبرَّ بالوجهِ الذي برَّهُ قَرَنُهُ فليتحيَّل لمكافأتهِ على ذلك البرّ بوجهٍ آخر والَّا كان غير متخذ (متَّحد او متَّخذ ؟) العدل ونُسب الى محبَّة الربح لا الى محبَّة الكرامة . وينبغي ان يؤنَّس الصبيُّ الذهبَ والفضَّة ونحذر (ويُحَذَّر) مسَّهما اكثر مما يحذر (يُحَذَّر) مسّ الافعى والحيَّة . فان آفة الافعى والحيَّة انَّما تدخل على البدن وآفة حبّ الذهب والفضَّة تدخل على النفس وضررهما في النفس ابلغ من ضرر السمّ في البدن ويُحتال في وضع قدرهما عندهُ وتهجين مَن احبَّهما

وينبغي ان يؤدَّب الصبي في بعض الاوقات في اللعب ولا يلعب لعباً فيهِ قبحٌ ولا ألمٌ فانَّ اللعب انَّما يُراد لراحة الصبيّ وسروره حتَّى يكون ذلك عوناً لهُ على ما يراد منهُ فيما بعد من التعب في الادب والصبر على مشقتهِ . فاذا (٩٥) كان في لعبهِ تعبٌ لهُ احتاجَ الى الراحة في وقت تأديبهِ فبطَلَ ما قُصد بهِ اليهِ وبقي التعب الذي بهِ

ومن اجود ما يعوّدهُ الصبيّ وابلغهُ في فلاحة (فلاحهِ) الطاعةُ لوالديهِ ولمعلّميهِ ولاهل الادب والنظر السمع بعين الجلالة والاستحياء منهم والهيبة لهم ومن لم يكن

فيهِ ذلك من الصبيان ابطى (ابطأ) فلاحهُ

وينبغي ان يحذر (يحذّر) على الصبيّ الجماعُ او ان يُعرَّف شيء (شيئاً) من امر الجماع او يقارنهُ (يقاربهُ) حتّى يتزوّج . فانهُ مع ما في ذلك من القربة الى الله تعالى والثناء الجميل عند الناس وصحّة البدن وحسن النماء وبقاء الطهارة والنظافة والضبط النفس ، ففيهِ ان الرجل اذا لم يعرف امرأةً وكانت المرأة لا تعرف رجلًا غير رجلها كان حبّ كل واحد منهما لصاحبهِ غايةَ الحب والمطوى قلبهُ عليها وقلبها عليهِ وذلك من انفع الاشياء للرجل والمرأة جميعاً . وان كان الذين يريدون شدّة البدن يصبرون على الجماع ويؤثرون ذلك عليهِ فالذين يريدون فضيلة النفس اولى بالصبر عليهِ . ومَن حفظ هذه الاشياء وعمل بها صار بها الى الفضيلة ونال المحبّة والكرامة من الله والناس وبلغ غاية السعادة . ومن اطّرحها وظنّ انهُ لا ينتفع بها وانّ منفعتها يسيرة وترك استعمالها نال من راحة ذلك (٩٦) الشيءِ اليسيرَ (كذا) وأداهُ الى عظيم النقص والخساسة . ولعلّهُ يعرف فضيلة ذلك في وقتٍ لا يمكنهُ فيهِ تلافيهِ واستدراك ما فات منهُ فيحصل الى الندامة . فانّ اليسير من الخطأ في اوائل الاشياء واصولها ليس بيسير الضرر وكذلك المنفعة في يسير الصواب لأنّ الاشياء تُبنى على تلك الاصول

تمّ قول رولس (كذا) في تدبير المنزل والحمد لله وحدهُ

قوّة محرّكة جديدة : الفحم الاحمر

بقلم الاب رفائيل نخاه اليسوعي

من عجيب قدرة الانسان ومن شواهد مُلكهِ على العالم المادّي انهُ لا يزال يُخضع اشدّ قوى الطبيعة واعصاها لنير سلطتهِ المطلقة . هكذا سخّر على توالي العصور قوة الرياح والمياه الجارية والبخار والكهرباء ومدّ البحر وجزرهُ الى غير ذلك مما يطول تعدادهُ . ولا يمضي على تاريخ البشر جيلٌ واحد الّا ونرى الانسان مدّ سيطرتهُ على قوّة جديدة فأذلّها لسلطانهِ واستخدمها لغاياتهِ

والحالة هذه فليس من المحال ان يخضع الانسان لسلطانه المطلق قوة البراكين نفسها التي لم تكتف بعصيانه بل تلاعبت باعظم مدنه ولا تلاعبُ البحر الهائج بالسفن الخانعة في عبابه في طرفة عين كما رأينا ذلك في انفجار بركان جبل پله الذي لاشى مدينة سان پيار في سنة ١٩٠٢ . إي لعمري انها ستكون ساعة جليلة في تاريخ ابن آدم اذا ما استطاع يوماً ان يضع صولجان ملكه على ذات البراكين فيسخرها لارادته ويجعلها رهن اشارته محولاً عنوها الذي طالما دمّر البلاد وافنى سكانها الى انقياد جزيل الفوائد عميم الخيرات . وعلى كل حال فان لم تتحقق هذه الامنية البعيدة فكفى الانسان فخراً انهُ نال من مراحم خالقه عقلاً يرشدهُ الى تذليل كلّ قوى هذا العالم الفاني لإصلاح امور الزمنية فيقوى بها على ادراك غايته القصوى اي السعادة السرمدية

التذكار الخمسيني

لحماية القديس يوسف (١٨٧٠ — ١٩٢٠)

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

في ٨ كانون الاوّل من السنة ١٨٧٠ بعد مرور شهرين على دخول الجنود الايطالية في عاصمة الكثلكة وانتهاك حرمتها اصدر قداسة الحبر الاعظم السعيد الذكر بيوس التاسع براءة اعلن بموجبها انهُ تلبيةً لدعاء اساقفة العالم الكاثوليكي ورهبانياته ودوائره الدينية قد اقام بصفة رسمية القديس يوسف خطيب السيدة البتول ومربي الطفل الالهي ورأس العائلة المقدسة شفيعاً ومحامياً للكنيسة الجامعة في كل الحقب المعمور . وخصَّ لذلك عيداً سنوياً جعل رتبتهُ شبه رُتب اعياد الكنيسة الحافلة . وقد صرَّح قداستهُ بأنهُ واثق بجهالة ذاك الشفيع المشفَّع ليتقد بيعة الله مما احدق بها من الاخطار واصابها من النكبات بكايد الاشرار

والحالة هذه فليس من المحال ان يخضع الانسان لسلطانه المطلق قوة البراكين نفسها التي لم تكتف بعصيانه بل تلاعبت باعظم مدنه ولا تلاعبُ البحر الهائج بالسفن الخانعة في عبابه في طرفة عين كما رأينا ذلك في انفجار بركان جبل پله الذي لاشى مدينة سان پيار في سنة ١٩٠٢ . إي لعمري انها ستكون ساعة جليلة في تاريخ ابن آدم اذا ما استطاع يوماً ان يضع صولجان ملكه على ذات البراكين فيسخرها لارادته ويجعلها رهن اشارته محولاً عنوها الذي طالما دمّر البلاد وافنى سكانها الى انقياد جزيل الفوائد عميم الخيرات . وعلى كل حال فان لم تتحقق هذه الامنية البعيدة فكفى الانسان فخراً انهُ نال من مراحم خالقه عقلاً يرشدهُ الى تذليل كلّ قوى هذا العالم الفاني لإصلاح امور الزمنية فيقوى بها على ادراك غايته القصوى اي السعادة السرمدية

التذكار الخمسيني

لحماية القديس يوسف (١٨٧٠ — ١٩٢٠)

نظر لاهوتي للاب لويس شيخو اليسوعي

في ٨ كانون الاوّل من السنة ١٨٧٠ بعد مرور شهرين على دخول الجنود الايطالية في عاصمة الكثلكة وانتهاك حرمتها اصدر قداسة الحبر الاعظم السعيد الذكر بيوس التاسع براءة اعلن بموجبها انهُ تلبيةً لدعاء اساقفة العالم الكاثوليكي ورهبانياته ودوائره الدينية قد اقام بصفة رسمية القديس يوسف خطيب السيدة البتول ومربي الطفل الالهي ورأس العائلة المقدسة شفيعاً ومحامياً للكنيسة الجامعة في كل الحقب المعمور . وخصَّ لذلك عيداً سنوياً جعل رتبتهُ شبه رُتب اعياد الكنيسة الحافلة . وقد صرَّح قداستهُ بأنهُ واثق بجهالة ذاك الشفيع المشفَّع ليتقد بيعة الله مما احدق بها من الاخطار واصابها من النكبات بكايد الاشرار

تتلقى المؤمنون هذا الخبر بمزيد الفرح وشكروا إلهام الاحبار على فعله وارداده مذ ذاك ثقتهم بذلك القديس العظيم واختبروا مفاعيل شفاعته هذه على طرائق مختلفة كما تنبئ به عدة منشورات تقوية خصت بتمجيده ونشر عبادته

وها قد مضى على ذلك القرار خمسون سنة فلم يشأ رئيس الكنيسة ونائب السيد المسيح البابا بندكتوس الخامس عشر ان تمر دون ان يلفت نظر عموم ابنائه الكاثوليك الى هذه الحقبة من الدهر شكراً لله على ما انعم به عن يد هذا الولي العظيم من سوابغ منته وفيوض بركاته ثم تحريضاً للمؤمنين كي يجعلوه قدوة لحياتهم فيتلافوا بحسن سلوكهم والاقتداء بشفيعهم الشرور والبلايا التي دهمت العالم باجمعه ويمكنوا دعائم السلام في الصراع البشري وفي الهيئة الاجتماعية المتداعية

ففي ٢٥ من شهر تموز المنصرم اصدر قداسته منشوراً جديداً وجهه الى اشراف رؤساء الكنيسة ورعاياها ذكرهم فيه بهذا اليوبيل الخمسيني وتقدم اليهم بان يقيموا في كافة البلاد عيداً كبيراً لإكرام القديس يوسف يجمعون موعده في حدود سنة كاملة تبتدئ من ٨ك ١ سنة ١٩٢٠ وتنتهي في اواخر السنة ١٩٢١ . ولأن هذا شهر آذار اعتاد النصارى ان يكرموا ذلك القديس اكراماً خاصاً قصدنا ان نفرد في بحثنا نبذة نبين فيها اولاً ما هي الاسباب الداعية لالتماس حماية القديس يوسف ثم ثانياً كيف نستحق التمتع بتلك الحماية

ماذا حمل الكنيسة على التماس حماية القديس يوسف

ان كنيسة الله في سائر اطوار تاريخها مع اقرارها بان السيد المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله والبشر قد اعتبرت ايضاً القديسين والاولياء لرفيع مقامهم عنده عز وجل ولحظوتهم لديه كشفعائها المشفعين تنال عن يدهم منه تعالى نعماً وافرة لسعادة الدارين . وليس الالتجاء الى حمايتهم مخلاً في شيء بكرامة السيد المسيح بل هو مؤيد لها ويعود اليها اذ يعد الرب ما يقدم لاصحابه من الاكرام كمقدم لشخصه الكريم كما ان التجلة التي ينالها مبعوث الامير وحاشية السلطان تعود الى ولي امرهما

وذلك امر معقول يمكن اثباته بالادلة النقلية المتعددة من اسفار العهدين القديم والحديث خلافاً لما ذهب اليه بعض المراطقة

فهذا ابرهيم خليل الله شفع باهل سدوم وعمورة فقبل الله شفاعتهُ . وهذا موسى توسل مرارًا الى الرب ليصفح عن شعبهِ فرضي الله عن بني اسرائيل لاجلهِ . وهذا ايليا حبس المطر ثمَّ أنزل الغيث على الارض بمجرَّد صلاتهِ

بل هو الربّ يحضُّ البشر على الاستشفاع بأوليائهِ فاوحى تعالى الى ابيمالك ان يلوذ بشفاعة ابرهيم لينجو من غضبهِ . «فصلى ابرهيم الى الله فشفى الربّ ابيمالك وامرأتهُ وجواريهُ » . وكذا فعل باصدقاء أيوب بعد محنتهِ فامرهم ان يذهبوا الى عبدهِ أيوب قائلًا : « اذهبوا الى عبدي أيوب وأصعدوا محرقةً عنكم انفسكم وعبدي أيوب يصلّي من اجلكم لئلّا أعاملكم بحسب حماقتكم » (ايوب ٤٢ : ٨)

وظهرت مفاعيل هذه الشفاعة حتّى بعد موت اولئك الابرار كما حدث لذلك الميت الذي قام حيًّا اذ مسَّت جثَّتهُ عظام النبي اليشاع (٤ ملوك ١٣ : ١٤) ومثلهُ ما ورد عن ارميا النبيّ الذي تراءى ليهوذا المكابي وقيل عنهُ هناك « انهُ محبّ لاخوتهِ ومكثر من الصلوات لاجل الشعب والمدينة المقدسة » (٢ مكابيين ١٥ : ١٤)

وليست الشواهد المنقولة من العهد الجديد اقلّ وضوحاً من آيات العهد القديم : توسَّل بطرس لاجل حماتهِ فشفاها السيّد المسيح من مرضها . توسّل بولس لاجل نجاة الذين ركبوا معهُ البحر فاستجاب الله دعاءهُ وخلّصهم من الغرق . توسَّلت الكنيسة من اجل بطرس فانقذهُ الله من ايدي هيرودس اغريبا وفتح امامهُ ابواب السجن وكسر اغلالهُ . وقد حضَّ يعقوب الرسول المؤمنين على صلاة بعضهم لاجل البعض بقولهِ (٥ : ١٦) : « صلّوا بعضكم لاجل بعض لكي تبرأوا . ما اعظم قوَّة صلاة البارّ الفعّالة »

ولا تبطل قوَّة شفاعة هؤلاء الابرار بعد موتهم بل تزيد مفعولًا وهم احياء عند الله ثابتين في محبَّتهِ . كما يلوح من قول الرب في لوقا (١٦ : ٩) اذ يحرّض ذوي الثروة على الصدقة بقولهِ : « اجعلوا لكم اصدقاء بمال الظلم حتى اذا ادركم الاضمحلال يقبلونكم في المظالّ الابديَّة »

وفي تاريخ الكنيسة ما لا يُحصى من الاخبار الثابتة الموثوق بها لا تبقي شكًّا في قوَّة تلك الشفاعة فلا حاجة الى ذكرها

هذا ثمَّ انهُ معلوم انَّ بين اولياء الله مراتب مختلفة على حسب فضلهم وسموّ

قداستهم ولا جرم انَّ للقديس يوسف بينهم مقاماً رفيعاً لم يبلغه احد منهم بعد البتول امّ الله كما اثبت ذلك حضرة الاب بولس جرون في مقالة ممتعة نشرها في المشرق (٤ [١٩٠١]: ٢٢٩ - ٢٣٦) . فهذه الرتبة السامية التي اكرمهُ الله بها على الارض خوّلتهُ الآن في السماء كرامةً خاصّة تلوح مفاعيلها بما يجديهِ من الآلاء الجزيلة للمتعبّدين لهُ

وقد عرفت الكنيسة منزلتهُ هذه السامية وذلك ما حدا بها الى ان تختارهُ كحامٍ عمومي لها . ولم تمتز بهذا الشرف احداً من القديسين غيرهُ مع العذراء خطيبتهِ

وممّا أهّل القديس يوسف الى ذلك ثلث صفات وجدتها الكنيسة في حمايتهِ :

﴿الصفة الاولى﴾ قوّة تلك الحماية التي تفوق حماية غيرهِ من ساكني الجنان السرمديّة . قال احد الاتقياء : انَّ شفاعة القديس يوسف هي اشبه بالامر منها بالتوسّل والتضرّع . فان طلب من الثالوث الاقدس حاجةً وجد في الآب الازلي مولى انابهُ في حياتهِ منابهُ لدى ابنهِ الالهي فشاءهُ بازائهِ على الارض . وان التمس امراً من ابن الله الكلمة لبّى للحال طلبتهُ بقوّة وصيّتهِ تعالى : أكرم اباك وامك وهو وليُّهُ الذي كان في عهدتهِ مدّة ثلثين سنةً يدعوهُ بالاب ويُعتبَر هو شرعياً كابنهِ . وان استمدّ نعمةً من الروح القدس حصل عليها دون سواه بعد ان تخلّى لهُ عن عروسهِ مريم ليحلّ هو عليها ويظلّلها بقوتهِ . او تستطيع سلطانة السماء ان تردّ حارس بتوليتها وخطيبها البتول خائباً اذا ما تشفّع لديها باحد مواليهِ كلّا ثمّ كلّا . فانَّ للقديس يوسف كلمةً نافذة وامراً مسموعاً مهما طلبهُ نالهُ لا محالة

﴿الصفة الثانية﴾ التي امتازت بها حماية يوسف الجليل انّها حماية عمومية شاملة تمتدُّ لكل حاجات الانام . فانَّ الكنيسة اذا ابتهلت الى بعض اولياء الله تطلب شفاعتهُ لنوال نعمةٍ خاصّة امتاز بها ذلك القديس فينالها ملتمسوها بواسطتهِ من الله جزاء عن جهادهِ وتبريزهِ في اقتنائها على الارض . فتطلب الايمان والثبات من الرسل والقوّة والشجاعة من الشهداء والاستنارة والتفهم من معلّمي الكنيسة ومحبّة الله والقريب من المعترفين والطهارة من العذارى . امّا القديس يوسف فتلتجئ الى شفاعتهِ في كلّ حاجاتها وهي تصرّح بذلك في صلاة عيدهِ بقولها : «نسألك يا رب ان تساعدنا باستحقاقات خطيب والدتك الكلّي قدسها فننال بشفاعتهِ ما لا نستطيعهُ بقوّتنا»

وكأنّ الله قدّر ليوسف عبده ان يتقلّب في اطوار حياته تقلّباً كثيراً ليجم عودَ دهره فيذوق حلوه ومرّه ليعمّ بشفاعته ابناء الكنيسة اجمعين. فترى الصغار يلوذون به اذ كان حارساً لطفولة يسوع. وبه يثق ارباب البيوت لتوليه امر العائلة المقدّسة. اليه تستصرخ العذارى ليحرس برارتهنّ كما حرس عفّة العذراء الطاهرة مريم. واياه يستغيث المرتبطون بالزواج ليحفظوا كرامة وشرف هذا السرّ كما هو قدّسه بذاك الاقتران المقدّس الروحيّ مع سيدة العذارى. يلتجيء اليه الفقراء والعمّال لعلمهم انّه قضى حياته في الشغل والكدّ. عليه تُبنى آمال الناس في الامور الروحيّة والحياة القدسيّة لعيشته بجوار ربّ القداسة وسيره على مثاله. ومنه تُرجا الاعانة في الامور الزمنيّة التي أُلقيت اليه مقاليدها في تدبير بيت الناصرة. يطلب اليه البؤوسون الفرجة من بلاياهم وهو قد عرف مرارة المنفى في مصر. واليه يُلقي المنازعون ابصارهم لينالوا بشفاعته الآخرة الصالحة كما حظيَ بها بين ذراعي يسوع ومريم

﴿الصفة الثالثة﴾ التي خُصّت بها حماية يوسف انها ابويّة عاوفة رقّة وتعطّفاً. ولا غرو فانّ القديس يوسف لكونه رأس العائلة المقدّسة اضحى ايضاً رأساً ومدبّراً للعائلة المسيحيّة بأسرها. لأن بين العائلتين روابط غير منفصمة وليست عائلة الناصرة الّا الحلقة الاولى من تلك السلسلة الالهيّة التي اخذ ابن الله الى الارض لينشئها ويعدّها لسكنى بيت ابيه السماويّ. فما أحرى بيوسف ان يُثابر على حمايتها كما صرف عنايته لحماية يسوع ومريم. وفيه تصدق آية الكتاب عن يوسف الاوّل (تك ٤١: ٤٠) «انّ الرب اقامه سيّداً على بيته وسلطاناً على جميع مقتناه». وقد حقّق القديس يوسف امر ربّه فلم يزلْ يُظهر لابناء الكنيسة كلّ حنان وشفقة ولم يخيّب قطّ أمل المعتصمين بشفاعته

٢ كيف يمكن المؤمنون التمتع بحماية القديس يوسف

اذ ثبت انّ الكنيسة اصابت كلّ الصواب بتوجيه نظرها الى القديس يوسف وباعلان حمايته على كلّ بنيها فانّ ذلك يقتضي منهم استحقاقها وتهيئة نفوسهم لقبولها. ولا عجب لانّه ان كانت لذي الحماية فروضٌ وواجبات فذلك يستلزم ايضاً من المُنعَم عليه بها أنْ يؤهّل نفسه لها ويترشّح للتمتّع بها. وانّما يكون ذلك بالتقرّب الى وليّه

لينال منهُ الحظوة . وانما التقرُّب يقوم خصوصاً بالتشبّه بهِ وباقتداء فضائلهِ . وقد مارس يوسف من الفضائل اسماها ما لو اقتفى بهـا المتعبدون لهُ كانت لهم اضمن كفيل لسعادة حياتهم

واوّل ما دعا اليهِ الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر لفيف المؤمنين ليتأسّوا بهِ من فضـائل القديس يوسف روحُ السلام والوئام الـذي اتّخذهُ ديناً وديدناً في حياتهِ . فانَّ العالم بعد هذه الحرب الكونيّة قد تفاقمت فيهِ الشرور وزاد تنافر القلوب وانتقضت روابط الوداد والاتفـاق بين الدول وأمم المجتمع الانـاني بل ضعفت اواصر الحب في العيال المسيحيّة . فما لهُ الّا ان ينظر الى يوسف ويتمش روح الإخاء والاتحاد الذي كان يوسف مع عائلتهِ المباركة مثالهُ الحيّ

ومما امتاز بهِ القديس يوسف شظاف عيشهِ وتجرُّدهُ عن ملذّات هذا العالم . خدم ابن الله الذي اختار في هذه الدنيـا الصليب والاوجاع على الهناء والرفاهية ليزدري الناس برخاء العيش . وكان يوسف في مقدّمة المتمثلين بهِ . ومـا احقّ بالمسيحيين ان ينهجوا منهجهُ في هذه الفضيلة وقد نرى الكثيرين يتهافتون على اسباب رغد الحياة ونعومة العيش تهافت الجياع على القصاع كأنهم يريدون ان يعتاضوا عمّا فاتهم من الرخـاء والتلذُّذ في مدّة الحرب فلا همّ لهم الّا ان يرشفوا كـأس الهناء ويستسلموا لكل الاهواء لا يصرفهم عن ذلك مايرون من ضيق الاحوال وغلاء الاسعار ولاسيّما الشبّان والشابّات وقد غلب على كثيرين منهم التهتُّك والخلاعة . فكيف يمكنهم ان يدّعوا باسم المسيحيين وهم من فضائل المسيحيّ منـاط الثريا . فهـا هوذا يوسف مثالهم فليتعلّموا منهُ القشف والحياد عن كلّ ملاذّ الدنيا الباطلة

وقد اطرأ الحبر الاعظم قناعة يوسف وكفافهُ في خدمة العائلة المقدّسة وارتزاقهُ بالشغل والكدّ دون الطمع البتّة او الحسد لمـال القريب فكأنَّ مثالهُ اكبر رادع لمطامع العمّلة في هذه الايّام التي ثار فيها ثائر الثورة وتألّفت النقابات الاشتراكيّة وتعدّدت الاعتصابات السيئة المبنيّة على مذهب الفوضى وقلبت المبادئ البولشفيّة نظام الكون يحلمون كلهم بالمساواة بين طبقات البشر والحصول على الاستقلال ونفي كلّ سلطان . فأصبحت الارض ميداناً للفتن والمشاغب تشبه السكران المتمايل بشملهِ لا تثبت على قرار . فليذهبوا الى يوسف النجّار الذي عرف ان يقدّس شغلهُ ويتوسّل بهِ

الى رضى ربهِ فكان لهُ سلّماً رقاهُ الى اوج الكمال وبلّغ بهِ الى ان ينال حبّ الله والناس

فهلمّوا ايها المؤمنون في هذا العيد الحسني وتعلّموا من يوسف هذه الفضائل الاهليّة والاجتماعيّة فانها انجع دواء لأدوائكم وبها تستحقّون شفاعة ذلك القديس وتشعروا بنعم حمايتهِ لكم ولعيالكم معاً فيسود السلام على العالم وتنقشع ظلمات الشهوات الباطلة ينبوع كلّ الشرور والبلايا

العلوم في السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعي

اخذت العلوم بعد كبوتها بسبب الحرب وعقابيلها المؤلمة تعود الى زهوها شيئاً فشيئاً لتستعيض بضاعتهُ نشاط ارباب عمّا فاتها في هذه الفترة المشؤومة

علم الفلك

كان الفلكيّون ينتظرون في اوربّة في العام الماضي شتاء شديد البرد لما عرفوهُ سابقاً من نواميس حركة الشمس وكلفها فجرى الامر على خلاف حسبانهم اذ كان هناك الشتاء غاية في الاعتدال ففسروا ذلك الى انفجارات غير معهودة جرت في الشمس ودلّت عليها رصودهم . وكأنّ ما رجّحوهُ لبلادهم قد صحّ في أصقاعنا الشرقيّة حيث كان الشتاء قارساً ونزل الثلج في سواحلنا على غير عادتهِ (راجع في المشرق ١٩[١٩٢٠]: ٢٠٠ مقالتنا عن الثلج في بيروت)

ومن المظاهر النادرة التي حدثت في باريس في العشر الثالث من شهر آذار في ليلة ٢٢ الى ٢٣ منهُ ظهور الشفق الشمالي مع سطوع انوارهِ الارجوانيّة في أفقها

كانت المراكز الفلكيّة لحظت في سطح القمر حُفَرًا عديدة متّسعة الفوهة على شبه القموع فلم يستدلّوا على سببها حتّى قام الفلكي الفرنساوي بوسلر (Bosler) فبيّن انها حدثت بوقوع رجوم كبيرة سقطت على القمر وغاصت في سطحهِ وقد قاس

الى رضى ربهِ فكان لهُ سلّماً رقاهُ الى اوج الكمال وبلّغ بهِ الى ان ينال حبّ الله والناس

فهلمّوا ايها المؤمنون في هذا العيد الحسني وتعلّموا من يوسف هذه الفضائل الاهليّة والاجتماعيّة فانها انجع دواء لأدوائكم وبها تستحقّون شفاعة ذلك القديس وتشعروا بنعم حمايتهِ لكم ولعيالكم معاً فيسود السلام على العالم وتنقشع ظلمات الشهوات الباطلة ينبوع كلّ الشرور والبلايا

العلوم في السنة المنصرمة

للاب لويس شيخو اليسوعي

اخذت العلوم بعد كبوتها بسبب الحرب وعقابيلها المؤلمة تعود الى زهوها شيئاً فشيئاً لتستعيض بضاعتهُ نشاط ارباب عمّا فاتها في هذه الفترة المشؤومة

علم الفلك

كان الفلكيّون ينتظرون في اوربّة في العام الماضي شتاء شديد البرد لما عرفوهُ سابقاً من نواميس حركة الشمس وكلفها فجرى الامر على خلاف حسبانهم اذ كان هناك الشتاء غاية في الاعتدال ففسروا ذلك الى انفجارات غير معهودة جرت في الشمس ودلّت عليها رصودهم . وكأنّ ما رجّحوهُ لبلادهم قد صحّ في أصقاعنا الشرقيّة حيث كان الشتاء قارساً ونزل الثلج في سواحلنا على غير عادتهِ (راجع في المشرق ١٩[١٩٢٠]: ٢٠٠ مقالتنا عن الثلج في بيروت)

ومن المظاهر النادرة التي حدثت في باريس في العشر الثالث من شهر آذار في ليلة ٢٢ الى ٢٣ منهُ ظهور الشفق الشمالي مع سطوع انوارهِ الارجوانيّة في أفقها

كانت المراكز الفلكيّة لحظت في سطح القمر حُفَرًا عديدة متّسعة الفوهة على شبه القموع فلم يستدلّوا على سببها حتّى قام الفلكي الفرنساوي بوسلر (Bosler) فبيّن انها حدثت بوقوع رجوم كبيرة سقطت على القمر وغاصت في سطحهِ وقد قاس

الاميركيّ هربرت ايفس احدى هذه الحفر فوجد قطرها بالغاً ١٥٠٠ متر . وقد قال انّ ارضنا ايضاً تصاب بمثل هذه الرجوم الّا انها يحميها جوّها من اضرارها فانّ الرجوم اذا مسّت فلكنا التهبت في جوّهِ وصارت كالنيّات الّا قطعاً منها جمعوها في المتاحف . امّا القمر فلخلوّهِ من الجوّ والهواء تصيبهُ تلك الرجوم بصدمات هائلة وتغوص في باطنهِ لضخمها وشدّة سرعتها

دلّت مراقبة النجوم انّ بعض الكواكب يختلف نورها فبعد ان كانت ساطعة الضياء يقف عليها مجرّد البصر إذ يتضاءلُ نورُها حتّى لا تُرى الّا باكبر النظّارات . وقد ساعدهم على رصدها التصوير الشمسيّ ثمّ الطيف الشمسيّ وقد جعلوا لها جدولًا وهم يبحثون الآن عن سرّ تغيير نور هذه الكواكب ولم يتّفقوا بعد في تعليلهِ

علم طبقات الارض اي الجيولوجيّة

حدثت في العام الماضي عدّة زلازل دمّرت في البانية والبلغار وجهات ثراقية بعض القرى وقد شعر المصريّون في غرّة شهر تشرين الاوّل بزلزلة قويّة ذُعر لها الاهالون في سحر النهار نحو الساعة الرابعة وسُمع دويٌّ شديد في الارض لم يدوّن مثلهُ مرصدُ حلوان منذ انشائهِ

انفجر بركان في جزيرة لوسون يُدعى بولوسان كان انطفأ منذ سنين عديدة فالقى في ١٠ من شهر ايّار بنيران وحُمم ورماد الى علو القيّ متر . وفي العشرين منهُ انفجر في جارة بركان آخر اسمهُ كلوت فذهب بحياة سبعة آلاف من الاهلين

اكتشفوا في اميركة في هذه السنين الاخيرة على مستودعات عظيمة لحيوانات مستحجرة هائلة العظم غريبة الاشكال تمّا بادت آثارها بالتقلّبات الجيولوجيّة في ثيومنغ من ولاية ألبرتا وفي مقاطعة كولورادو وفي جهات لوس انجلوس يشتغل الآن الجيولوجي الاميركيّ الشهير برنوم برون باستخراجها من مدافنها ونقلها الى متحف نيويورك . وبين هذه المستحجرات هياكل حيوانات عديدة لم تُعرف سابقاً يبلغ طول بعضها من عشرة امتار الى ثلاثة عشر متراً يتقاطر الناس لمشاهدتها

ومن غريب ما وقف عليهِ العالم الفرنساوي ڤ . غاليب (V. Galippe) في اوراق من البردي الراقية الى القرن الثالث قبل المسيح وفي كهوف مستحجر بعض

من الجراثيم الميكروبيّة امكنهُ ان يحييها في مُختبره بعد جمودها الفي سنة بنيق واستدلّ بذلك على حيويّتها رغماً عن طول الزمان كما بيّنوا قبلاً صبرها على البرد القارس

العلوم الطبيعيّة

﴿ فنّ الطيران ﴾ لا يزال في ترقٍّ متواصل . وانما المقصود منهُ الآن المنفعة التجاريّة والمواصلات الاهليّة بدلاً من الفوائد الحربيّة والمنازعات الدوليّة . وقد ثبت ترقّي هذا الفنّ المستحدث بمعرض عمومي جرى في باريس في اوائل السنة المنصرمة عُرضت فيه اصناف الطيّارات التي أُنشئت مؤخرًا في فرنسة وبريطانية العظمى وايطالية فتقاطرت الى زيارتها جماهير الوفود واخذهم الاندهاش مما رأوهُ من اشكالها المختلفة وحسن تجهيزها ومحرّكاتها بالبترين والبخار والكهربا . وتهيئتها لنقل الركّاب والسِّلَع الخ

وقد بلغ احذق مديري الطيّارات الى أن ازالوا كثيرًا من عقباتها وأمّنوا غالباً ركّابها من اخطار السقوط عنها . وهذه لائحة(١ نشرها الجنرال سَيكس على اعمال الطيّارين المُلكيين في انكلترة من اول ايار ١٩١٩ الى ٣١ تشرين الاول ١٩٢٠ بيانًا لسرعتها وأخطارها واستنادًا الى احصاءات رسميّة : كانت ساعات الطيران ٤٠٠٠ — وعدد النحوّمات ٢١٠٠٠ — والرُّكّاب ٥٢٠٠٠ — والمسافات المجتازة ٤٩٠٠٠٠ كيلومتر — والطوارئ المفجعة ١٣ — عدد القتلى من المديرين ٢ — والجرحى ٦ — عدد الركّاب القتلى : صفر — والركاب الجرحى ١٠ . فبناء على تلك الارقام يكون عدد الركاب الجرحى واحدًا من ٥٢٠٠ . فما اقلّ اخطار الطيران في الوقت الحاضر اذا قوبلت باخطار السكك الحديدية . وتؤيد هذه النتيجة الغريبة الارقامُ التي وردت في احصاء آخر للمستر مرتين وهو من اشهر صانعي الطيّارات في الولايات المتحدة . فهذه ثلاثة احصاءات اعلن بها :

اولاً نتيجة سباق الطيّارات في إنديانوبوليس . المسافة المقطوعة ٨٠٤٫٥ كيلومتر — معدّل السرعة في الساعة ١٧٧ كيلومترًا — سرعة الفائز المتوسطة ١٤٤٫١ كيلومترًا — المتبارون الراحلون

١) نشكر حضرة الاب وفائيل نخله الذي تفضل فارسل الينا هذه اللائحة

من مبتدأ السباق ٣٣ – الواصلون الى منتهاه ١٥ فقط اعني ٤٥ بالمائة – القتل ٣ اعني معدّل واحد لمسافة ٦٤٣,٦ كيلومترا

ثانياً سباق الطيّارات من نيويرك الى طورنطو. المسافة ١,٦٧٦ كيلومترًا. معظم السرعة في الساعة ٢١٥ كيلومترًا – سرعة الفائز المتوسطة ٢٠٥ ك – الراحلون ٥٢ – الواصلون ٣٠ اعني نحو ٥٨ بالمائة – القتل ٧ اعني معدّل واحد لمسافة ٣٠,٠٠٠ كيلومتر

ثالثاً سباق الطيّارات بين فرنسكو – المسافة ٤,٣٦٠ ك – معظم السرعة في الساعة ٢١٧ ك – سرعة الفائز المتوسطة ١٩٣ ك – الراحلون ٦٢ – الواصلون ٣١ اعني ٥٠ بالمائة – القتل ٧ اعني معدّل واحد لمسافة ٣٠,٠٠٠ ك

فمن كان ينتظر ان فنّ الطيران الحديث المعرّض لاخطار كثيرة ومصاعب جمّة يفوق بدون قياس السيارات والسكك الحديدية ليس فقط سرعةً بل وأمناً ؟

وقد اطّلعنا على قائمة اخرى في ايّار سنة ١٩٢٠ عُدّت فيه ساعات الطيران ٨,٣٦٨ والمسافات المقطوعة في ٣٥,٣٣٠ حومةً بلغت ٩٥١,١٣٧ كيلومترًا وعدد الركّاب ٦٤,٤١٦ لم يحدث فيها الّا ١٨ طارئاً قُتل فيها اربعة مدبرين وقُتل فيها ٣ ركّاب

ومما افادتنا المجلّات العلميّة انّ الالمان يُعدّون منطادًا من شكل مناطيد زبلين لنقل الركّاب والبضائع بين اوربا واميركة وهم يجهّزونه بكل لوازم السفر لحسابة راكب ويحملون لتسييره ٦٠ طنّاً من البنزين ما يكفي لقطع مسافة تعادل ثلثة اضعاف المسافة الفاصلة بين القارّتين

وسعى الانكليز بانشاء محطّات للطيران بين القاهرة ومستعمراتهم في جنوبي افريقية. ويهتمّون الآن بانشاء اللوازم لارسال البريد من اندرة الى اميركة الجنوبيّة مع الطيّارات التي ستطير من لندرة الى باريس ثم مدريد ثم رباط في مراكش ومنها الى مستعمرة غمبيا وتقطع الاوقيانوس الاتلنتيكي فتحطّ في برنمبوك في البرازيل والمسافة ٢,٣٥٠ كيلومترًا

ومن فوائد الطيران ما جرّبتهُ ولاية كاليفورنيّة ونجحت فيه نجاحاً باهرًا اذ اتّخذت طيّارات لمراقبة اصحاب الجنايات وتعميم الامان في جهاتها فترى الشُرَط يحوّمون فوق البلاد ويتعقّبون المجرمين. وينقضّون عليهم انقضاض العقاب على فريستهِ فلا يفلتون من ايديهم. وقد وُكلت اليهم ايضاً حراسة احراج تلك البلاد وصونها من الحريق وكلّ عداه.

ومن كمالات فنّ الطيران التي اصابوها مؤخّرًا انهم استطاعوا توقيف الطيّارة مدّةً في الجوّ اذا شاؤوا لبعض غاياتهم

﴿ التلغراف اللاسلكي ﴾ صار اليوم ينوب عن القلوس البحريّة التلغرافيّة فانّ شركة مركوني في انكلترة تعهّدت ارسال البرقيّات لكل جهات المعمور باسعار متهاودة ارخص من سواها

روت جريدة البشير في تاريخ ١٠ شباط ما قرّرت الحكومة الفرنسويّة انشاءهُ في سنت اسيز قريباً من مدينة ميلن (Melun) ألا وهي اعظم محطّة للتلغراف اللاسلكي وقد وضع حجرها الاوّل من بضعة ايّام وكيل وزارة البرق والبريد. وهذه المحطّة التي سيتمّ بناؤها بمدّة ١٨ شهراً ستكون اقوى محطّات التلغراف اللاسلكيّ في العالم كلّه. وهي تُقسم الى دائرتين اوربيّة وكونيّة. فالدائرة الاوربيّة غايتها ارسال البرقيّات الى كلّ جهات اوربّة ويخصّص لها صاريركرونهُ على برج علوّهُ ٢٥٠ متراً يمكنهُ ان يرسل برقيّتين معاً. ويلحق بهذه الدائرة محطّة لقبول البرقيّات من الخارج. اما الدائرة الكونيّة المقصود منها تبليغ البرقيّات الى كافّة انحاء العالم فيكون لها صار ذو سطح مزدوج يرتكز على ١٦ برجاً علوّ البرج منها ايضاً ٢٥٠ متراً ولها محطّة ثانية لاستقبال البرقيّات لا تقلّ دوائرها عن السبع. وهي تستطيع ان ترسل ثماني برقيّات معاً وتتلقّى منها سبعاً حتى اربع عشرة عند الحاجة. ويمكنها ان تبعث وتتلقّى مليوني كلمة في ٢٤ ساعة. وبين محطّة ميلن والمركز الاصليّ في باريس اسلاكٌ عديدة تربطها. فستحصل من ذلك منافع للتجارة والصناعة لا يحيط بها وصف لسرعة نقل الاخبار وارسالها من والى سائر اقطار المعمور. وما اصدق قول البشير في ختام كلامها عن هذا المشروع: سبحان الذي اودع الطبيعة اسراراً عجيبة جعل الاستفادة بها قيد ارادة الانسان واجتهاده

وقد اثبت الطبيعيّ الشهير السير ادوار برانلي احد اساتذة مكتب باريس الكاثوليكيّ بعد امتحانات اجراها في هذه السنة انّ التلغراف اللاسلكيّ يمكن استخدامهُ لاطلاق الموادّ المتفجّرة على مسافات بعيدة. وذلك ممّا يحوّل المتحاربين واسطةً جديدة للتدمير والفناء

وقد اكتشف الفرنسويّون سرّاً آخر للتلغرافيّة اللاسلكيّة لتمكّن الغواصات

وهي في قلب البحر من ان تتلقى الانباء البرقيّة وترسلها الى المراكز المختلفة دون ان تصعد على وجه الماء كما كانت تفعل قبلاً فتتعرّض لضربات العدوّ . وهي اليوم مجهزة بآلة اخترعها السيو دي بوليي امتحنوا فعلها في عمق ٣٥ متراً تحت سطح البحر فكان البحريّون يتلقّون البرقيّات من محطّات باريس ولندرة ورومية

هذا وان «التلفون اللاسلكي» يجري في ترقيه مجرى التلغراف الاثيري فانّ اختبارات حديثة مكنت اهل لندرة وباريس من استماع حفلة موسيقيّة نُقلت في رومية وقد تحادث اهل هذه العواصم بعضهم مع بعض دون مشقّة بالتلفون اللاسلكي

ويحصل من الاختبارات الحديثة التي اجراها السيو مرتين الطبيعي الفرنساوي في مدينة شربورغ لتبيين سرعة انتقال الصوت في الماء انّ الصوت في ماء البحر اذا كانت حرارتهُ ١٤ درجة فوق الصفر من المقياس المئويّ يقطع في الثانية مسافة ١٥٠٣ امتار فيكون انتقالهُ اسرع من الهواء بنحو خمسة اضعاف . هذا في ماء البحر المالح اما الماء الحلو في الانهار فوجد سرعتهُ في الثانية ١٣٩٩ متراً اذا كانت درجة حرارتهِ ٤ درجات فوق الصفر و١٤٣٥ متراً في درجة ثمانية و ١٤٤١ متراً عند بلوغ حرارته ١٣ درجةً

الكيمياء

انّ ابحاث العلماء في بسائط الكيمياء قد بلغت بهم الى تغيير آرائهم في تركيب تلك العناصر لاسيّما بعد اكتشافهم للاجسام المشعّة كالراديوم والهيليوم والپولونيوم حتّى انهم يرون الآن انّهُ لمكن اثبات وحدة المادّة في كل الاجسام وانّما اختلافها في الكم والكيف بقوّة عوامل قديرة تسلّطت عليها لمّا كانت ارضنا حديثة النشأة متأججة النيران في سطحها

ومما يرتأي العالم پروت ان الهيدروجين اصل كل العناصر . امّا الاوكسيجين الذي كانوا يعدّونهُ كاحد الاجسام البسيطة فانهم وجدوهُ مركّباً وانّ الهدروجين احد مركّباتهِ

وكان العلّامة الفرنساوي كوري بعد اكتشافهِ الراديوم لحظ ان هذا العنصر المشعّ يتحوّل الى هيليوم فارتأى انّ ذلك دليل على تحوّل البسائط بعضها الى بعض

وعودها الى عنصر واحد اصلي . وهذا ما شاع اليوم في انكلترة بمساعي بعض علمائها كرمساي وروثرفرد وطومسن فخلاصة ابحاثهم ادّت بهم الى القول انّ الاجسام البسيطة كلها تتركب من عدّة ذرّات والذرّة هي مركّبة من نواة اصليّة هيولية من المتكهربات المعروفة بالالكترون فباختلاف هذه المكهربات في عددها وتركيبها ووضعها تتكوّن بقيّة العناصر . وقد استصوب كثيرون من الكيميين هذا الرأي وحبّذوه

علم الآثار

يسرّنا ان نُعلن بنشر مجلّة سوريّة (Syria) الافرنسيّة التي صدر منها اربعة اعداد وهي تحتوي على اجلّ المباحث الاثريّة التي تهمّ اقطارنا ويتولّى نشرها نخبة من كبار الاثريين والمستشرقين كالسير ادمون پوتيه ودوسو وكونتنو وكلرمون غانو وماكلر وفرنتزكومون وشامونار . كفى بذكر اسمائهم للدلالة على عظم شأن المجلّة وفوائدها . فهي تمدّ ثلمة واسعة لتعريف كنوز الشرق الادنى الثمينة فنهنئ بلادنا بصدورها ونحضّ اهل الوطن على مطالعتها وعضدها

ومن جملة ما ورد في هذه المجلّة عن آثار سوريّة وصف الحفريّات التي عُهد امرها للسير كونتنو في صيداء وضواحيها فهناك عدّة نقوش وخزفيّات وتماثيل تشهد على ما كان لصيداء في عهد الفينيقيين واليونان والرومان من رفعة الشأن

ومن الحفريّات ذات النتائج الجليلة حفريّات عسقلان القديمة الشهيرة في الاسفار المقدّسة وفي القرون الوسطى فانّ مصلحة العاديّات المتولّية البحث عنها وقفت على قسم كبير من آثارها الراقية الى عهد الكنعانيين والفلسطينيين من اعمدة ودُمى وابنية مختلفة تُعرَف بها حضارة ذلك الزمان

واغنى منها بالآثار بابل واشور وعادياتهما العجيبة . ومما درسهُ آخرًا الاب شيل الدومنيكي والمرحوم السير ديولافوا هيكل بعل مردوك المعروف ايضاً بالبرجيل الذي كان لستخرج دفائنهُ الاثريّ كولدفاي كما لستخرج السير اندري دفائن لشور المعروفة بقلعة شرقات . فيظهر من درس الاوّلين انّ هذا الهيكل يستحقّ ان يُحصى في جملة عجائب الدنيا بسعة ارجائهِ وحسن هندستهِ وطبقاتهِ السبع على عدد السيارات

السبع القديمة . وكذلك استبان لهما ان اليونان في هندستهم الرائعة استعاروا كثيراً من أصول الكلدان البنائية وذلك ايضاً ما يرتأيه الاثريان بوتيه وكوك . وفي بعض الكتابات الاشورية المصونة في المتحف البريطاني في لندن قد وجدوا اسم المهندس الكلداني كيدينو الذي دعاهُ سطرابون وبليندیوس كيديناس (Κιδηνας)

اما الآثار المصرية فقد اكتشف منها حديثاً الاستاذ بتري العالم الانكليزي نواويس من حجر الصوان المحكمة الصنع لبعض قدماء المصريين بينها تابوت الملك سنيوسيري الثاني ثم حلياً ثمينة ومصاغات نفيسة بينها ثعبان من الذهب كان يزين تاج احد الفراعنة وهو مرصع بالحجارة الكريمة الملوّنة . ومما اكتشفتهُ المدرسة البريطانية في اللاهون مقابر راقية الى اوائل التاريخ المصري نحو ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح وجدوا فيها آثاراً جليلة تنبئ بمعتقد اهلها بحياة أخرى ولها بعض العلاقة مع بناء الاهرام

ومما يختص بالآثار العربية كتابات نبطية وغيرها في عدد ٨٠٠ كتابة تمكّن العالمان الدومينيكيان جوسن وساليناك من اخذ رسومها في حدود العرب . ومنها ايضاً الحفريات التي باشر بعض ارباب الصناعة العربية في مصر العتيقة المعروفة بفسطاط فجاءت اتعابهم مكلّلة بالنجاح لما وجدوهُ من الآثار الراقية الى عهد الاقباط واوائل الفتح الاسلامي

وقد أسف العلماء على تدمير الكماليين الاتراك كنيسة نيقية القديمة الراقية الى القرن الرابع للمسيح وفيها اجتمع المجمع المسكوني الاوّل سنة ٣٢٥ م والمجمع السابع سنة ٧٨٧ ودلّوا بذلك على همجيّتهم وسوء تصرّفهم

الجغرافية

ان كانت الجغرافية الطبيعية لا تزال على حالها فانَّ الجغرافية السياسيَّة اصبحت في تقلّب متوالٍ ولا نعلم متى تثبت على قرار . فانَّ المؤتمرات الدوليَّة التي عُقدت في العام الماضي لم تقرّ على كبح مطامع بعض الشعوب وارضاء العناصر المختلفة بنصيبها . فهذه الدول الظافرة تجد في طريقها عقبات كؤود تعترضها في احكامها وربَّما اقامها في وجهها اصحابها وحلفاؤها . وهذه الدول المركزيَّة التي تحاول كسر النير الذي يريد

اعدائها وضعهُ على مناكبها . واوّل دولة منكودة الحظّ اثّرت فيها هذه الحرب دولة النمسة التي خسرت ثلاثة ارباع سكّانها وثمانية اعشار املاكها . ومثلها دولة المجر التي سقط عدد سكّانها من ٢٠ مليوناً الى ٧ ملايين واصبحت مساحتها ١٩ الف كيلومتر مربّع بعد ان كانت ٣٢٥ الفاً . واعظم منهما خسارةً تركيّةُ فكادت سلطتها في اوربّة تضمحلّ ما خلا بعض الولايات التركيّة وفي آسية ضاق كثيراً نطاق املاكها . وأُصيبت ايضاً بلغارية بخسائر فربحت منها سربية ولايتين ولم يعد لها منفذ الى البحر . امّا المانية فانّها مع ما سُلخ منها فربحتهُ فرنسة وبولونية والدنيمرك وبلجكة لا تزال قويّة مرهبة تترصّد اعداءها لتُعرقل مساعيهم وتستردّ ما فقدتهُ

امّا الدول المنتصرة فكان السهمُ الاوفى من الارباح لانكلترّة بوضع يدها على مستعمرات المانية في افريقية وعلى قسم من ولايات تركية في العراق وفلسطين الخ

واقتسمت ايطالية فضمّت اليها ما اختزلتهُ من النمسة كولاية تريدنتي والتيرول وإستريه وما ربحتهُ من تركيّة كاضالية وجزيرة رودس . ولم توازِ ارباح فرنسة ضحاياها العظيمة في هذه الحرب المكونيّة حيث استرجعت ولايتي الزاس ولورين واستملكت مستعمرات طوغو وكامرون وانتُدبت كوصية على سوريّة . وأفوز منها ارباحاً اليونان التي ظفرت ببعض بلاد الاناضول وثراقية وعدّة جزائر . وقد خرجت من هذه الحرب الى عالم الوجود دول جديدة كاليوغوسلاف وبولونية والحجاز . واقتسمت اليابان قدّت سيطرتها على اقليم شانتونغ وجهات سيبرية ومنغولية وكورية حتّى اصبحت من اكبر الدول قوّة واعظمها خطراً على اوربة واميركة

ومما يستحق الذكر انّ دول اميركة المركزية والجنوبية رأت في مطامع الولايات المتّحدة خطراً على استقلالها فتحالف خمس منها وهي كوستاريكا ونيكاراغوا وهندوراس وغواتمالا وسان سلفادور حفظاً على كيانها

الطب والجراحة

في اوائل السنة ١٩٢٠ كانت النزلة الوافدة باسطةً حكمتها المكروه على كثير من البلدان فحصدت في مدّة خمسة اشهر من اعمار البشر ما لم تفُزْ بهِ الحرب الكونيّة في مدّة خمس سنوات فكان عدد ضحاياها ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ منهم ستّة ملايين في

الهند ومليونان في الولايات المتحدة وقد اختلفت اسماؤها وساء فعلها

قد سبق لنا مراراً ذكر الراديوم وعلاج داء السرطان بأشعته لولا انَّ هذا العنصر لا يزال عزيز الوجود يستدعي استخلاصهُ من بعض البلاد اسابيع واشهراً من الشغل . فانَّ كليَّة بوفاو قد اشترت منهُ غرامين وربع غرام بمليون من الفرنكات . وكذلك اشرنا الى فعلهِ في الجسم اذا لم تُتَّخذ الاحتياطات في مراعاة . وحفظهِ في صوانٍ متين فانَّهُ اذا وقع شعاعهُ على الجلد ربَّما احرقهُ حرقاً لا شفاء لهُ كما حدث للدكتور ڤاليان في باريس الذي أُصيب بجُرح اليم سبَّبتهُ اشعَّة رنتجن في علاجهِ للمرضى فلم ينجع دواء في ابراء الجرح حتَّى قُطع ساعدهُ في آذار الماضي

وقد سُررنا بما نشرهُ المجمع العلميّ في باريس بخصوص معالجة فقر الدم الحادّ (anémie aigüe) فانَّهم حقنوا بعض المتوّعين بهِ بمحلول من الماء المالح والصمغ العربيّ بمقدار ٦٠ جزءاً من الصمغ والف جزء من الماء والخثن يكون في داخل العروق فأتت الامتحانات بنتائج صالحة جدًّا

ومن الحفلات البهيجة التي قام بها مكتب باريس الطبيّ التذكارُ المئويّ لوضع الدكتور لانئيك (Dr Laënnec) آلتهُ الشهيرة لمراقبة حركات الصدر وباطن الجسم (stéthoscope) التي تفضل كثيراً على إلصاق اذن الطبيب على جلد المريض وترقنهُ على أدقّ نبرات القلب ونبض العروق وحركات الدم السائل في الشرايين . وقد كان الدكتور لانئيك اشدّ اهل زمانهِ تعلُّقاً بدينهِ الكاثوليكيّ مثل معاصرهِ النطاسيّ الدكتور ريكاميه (Dr Récamier)

ويلحق في هذا الباب ما ورد في احصاءات بلاد كاليفورنية انهُ وُجد بين اهلها البالغ عددهم خمسة ملايين نفوس ٣٠٠ شخص بلغوا المئة من عمرهم بل تجاوزوها وقد نسب الاطباء ذلك الى هواء تلك البلاد واعتدال مناخها والى حسن سلوك هؤلاء المعمّرين وقناعتهم في المأكل والمشرب

ومن الاختراعات الجميلة في العام الماضي تركيب ايادٍ لمن قُطعت ايديهم او سواعدهم في وقت الحرب فقد وضع المسيو دَسيناس ايدياً صناعيَّة يمكن الجريح تحريكها والعمل بها بقوَّة ساعدهِ او منكبهِ حتَّى انهُ يستطيع ان يشتغل بيديه ويقبض

بسهولة على ما يشاء. ويحملهُ ولو بلغ ثقلهُ عشرة كيلوغرامات. اما وزن هذه اليد الصناعيَّة فلا يتجاوز ٣٥٠ غراماً

الفلاحة

قد دفعت احوال المعاش الحاضرة ارباب العلم الى البحث عن طرق اقتصاديَّة جديدة لتوفير الغلَّات واصلاح شؤونها. فممَّا وقف عليهِ المستر مكنَّام في ملبورن من اعمال اوستراليا في أوَّل شهور سنة ١٩٢٠ انَّ للكهرباء مفعولاً عظيماً في انماء الغلَّات وتحسين اجناسها حتَّى زادت بها على ما سواها ٢٠ في المئة الى ٤٠. والحبوب بها اثقل واكبر. وقد وجد طريقة سهلة لعلاج البذور بالكهرباء. فانَّهُ يبلُّها بمحلول من سولفات النحاس بعد عرضهِ على ملفٍّ ثانوي من شكل ملفّ الاطبَّاء الذي يتَّخذونهُ لمرضاهم

وكذلك ادَّت الاختبارات الجارية في انكلترَّة الى بيان مفعول الكهرباء في المزدرعات والغلَّات ليقوها من العلل والآفات الضارَّة بها

وممَّا ينمي المزدرعات الثلج الذي يسقط في بعض الانحاء. وذلك لثلثة اسباب تبيَّنها الاختصاصيُّون في العام السابق: الاوَّل لان حرارة الارض يصونها الثلج نوعاً اذ يحجبها ويسترها من تقلُّبات الجوّ. والثاني انَّ الثلج عند ذوبانهِ تنفذ مياههُ بهدوءٍ في التربة فترتوي بها. والثالث لأن الثلج اغنى بالعناصر النتريَّة والحامض الكربونيك والنوشادر التي يمتزج بها في الجوّ عند سقوطهِ فيغذي بها المزدرعات فتزكو زكاءً عظيماً

وقد جرَّبوا في فرنسة الكلوروبكرين لقتل السوس في الحنطة والارز فانَّهم يجعلون اكياساً عامرةً منها في حجرة مُقفلة فيسكبون على كلّ كيس من ٢٠ الى ٢٥ غراماً من هذا المحلول فينظَّف الاكياس من السوس بعد ٢٠ ساعة

نبَّر البلاد الوبرَّة بآفة الجراد بوقوف المسيو ڤاسيار من علماء باريس على علاج ذلَّل لهذا الداء العياء. فانَّهُ ذهب الى شمالي افريقية حيث كان انتشر الجراد وتناسل فاطلق عليهِ آلة الاسهم النارية (lance-flammes) مع زيت الفحم الحجري فكان بثلثة عشر لترًا منهُ يبيد الجراد في مساحة ٣٠٠ الى ٤٠٠ متر مربَّع. وقد جرَّب ايضاً للاشاة الجراد النخالة الممزوجة بالحامض الزرنيخي (acide arsénieux) فوجدهُ كثير المنفعة لاتلافها

الصناعة والتجارة

سعى بعض علماء الالمان وقت الحرب باستخراج حرير جديد من لحوم الخيل الميتة والمتنولة فانهم اغلوها في مراجل ضخمة حتّى تهرّأت وتحلّلت واصبحت عروقها وشرايينها كالخيوط فانتخذوها ونعجوها فظهرت على شبه اكسية الحرير

ومن هذا القبيل ما توفق الى اكتشافه العالمان بول بكسيون الفرنساوي وسنسون انطونيو الايطاليّ فانهما عالجا قضبان التوت وقشرا اليافها فاصطنعا منها ثياباً متينة جدًّا تقوم لكتسيها مقام الكتّان اذ يمكن غزلها ونسجها مع الصوف

نشرت شركة الزيوت الانكليزيّة في العجم لائحةً اعربت فيها عن فكرها بنقل البترول الذي تستخرجهُ في بلاد ما بين النهرين بواسطة القساطل الى مينا حيفا والمسافة بينهما ٥٥٠ الى ٦٥٠ كيلومترًا تبلغ نفقاتها ٢٥٠ مليوناً من الفرنكات واملّا تُوفّر عليها المبالغ التي تصرفها لنقلهِ على طريقة خليج العجم

قد بحث بعض الاقتصاديين عن سبب نقص الفضّة وقلّة ما يوجد منها حاضراً فتحقّقوا انّ لذلك ثلاثة اسباب خصوصاً : الاوّل احوال المكسيك وما جرى فيها من الفتن والحروب الاهليّة ومعلوم انّ ثمانية اعشار الفضّة في العالم تُستخرج من المكسيك فهبط المعدّن منها من ٢٠٣٠٠ طنّ الى ٩٤٨ . والثاني انّ الصين التي كانت اصدرت من السنة ١٩١٤ الى ١٩١٧ ٢٣٩٥ طنًّا من الفضّة هي اليوم تشتري الفضّة لمصالحها . والثالث انّ الهند تستورد كميّات بالغة من الفضّة بلغت في السنين الثلاث الاخيرة ١٥٥٥٠ طنًّا صرفتها في مصالحها

انّ الحركة التجاريّة في توغة بناما تزيد يوماً بعد يوم فقد مرّ فيها السنة ١٩١٨ ٢٠٢٥ سفينة تجاريّة محمولها ٦١٣١٥٧٥ طنًّا فبلغ هذا العدد سنة ١٩١٩ ٢٤٧٨ مركباً محمولها ٨٥٤٥٦٥٣ طنًّا ودفعت رسومها ٨٨٠٠٠٠٠ دولار

اطلعتنا مجلّة « الطبيعة » الفرنسويّة على ما يدخل في فرنسة من التبغ فنورده لتنشيط زراعتهِ في بلادنا . مدخول التبغ في فرنسة على صنفين اماً بصفة اوراق واماً بصفة سكاير . تستجلب فرنسة ورقاً من الولايات المتّحدة ٢٨٠٨١٢٠٦٦ كيلو . ومن كوبا ٩٨٢٠٧ ك . ومن جزائر الفيليبين ٤٣٠٠٩٢٣ ك . ومن كولومبية

٢٤،٩٢١،٩٢٤ك . ومن سان دومنغ ٢،٦٤١،٧٦٤ك . ومن براغواي ٦٩٦،٣٣٤ك . ومن الارجنتين ٢١١ ، ٢٢٠ ك . ومن البرازيل ٦،٧٦٠،٥١٩ ك . ومن بيرمانية ٣،٨١٤،١٢٥ ك . ومن الهند ١،٠٤٢،٩٩٠ ك . ومن انكلترَّة ١٠٩،٨٦٩ ك . ومن اليونان ١٤٠،٠٥٩ ك . ومن مستعمرات هولندة ٧٧٠،٦٨٩ك

وتستجلب من مصنوعات التبغ والسكاير من هافانة ١١،٨٠٠،٠٠٠ سيكار . ومن مانيلّا ٣،٥١٢،٥٥٥ س . ومن المكسيك ٣،٦٨٨،٧٠٠ س . ومن مصنوعات اميركة ١٤،٦٥٥ ك . و ٣٥٢٥ . ومن سكاير البرازيل ١٤٦،٦١٢ ك . و ٤٢٠ . ومن المصنوعات الانكليزيَّة ١٥٤،٨٧٢ ك . و ٩٩٢٥ . ومن السكاير المصريَّة ٦٢،٤٢٠ ك و ٩٧٠

ومما اثَّر كثيرًا في الامور الاقتصاديَّة وغلوّ الاسعار الحاضرة ازمة الفحم الذي اصبح اليوم عليه مدار العمران ومحور الاقتصاد وهذه قائمة تبيّن استنتاجهُ في اميركة ودول اوربَّة قبل الحرب وما كان يورد منهُ ويصدر حينئذٍ بالطنَّات :

الدول	ما استخرجتهُ	حاجتها منهُ	الوارد اليها	الصادر منها
الولايات المتَّحدة	٥١٧,٠٠٠,٠٠٠	٤٩٦,٠٠٠,٠٠٠	١,٤٣٨,٠٠٠	٢٢,٥٤٠,٠٠٠
انكلترَّة	٢٩٢,٠٠٠,٠٠٠	١٩٦,٠٠٠,٠٠٠	—	٩٦,٩٠٠,٠٠٠
المانية	٢٧٨,٩٨٦,٠٠٠	٢٥١,٩٤٠,٠٠٠	١٧,٥٢٦,٠٠٠	٣٤,٦٠٠,٠٠٠
النمسة	٥٤,٠٠٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠,٠٠٠	٦٣,٧٢٥,٠٠٠	٧,٧٢٥,٠٠٠
فرنسة	٤٠,٨٤٤,٠٠٠	٥٤,٥٠٤,٠٠٠	١٩,٧٩٧,٠٠٠	١,٠٣٦,٠٠٠
بلجكة	٢٢,٨٠٠,٠٠٠	٢٦,٤٥٠,٠٠٠	٨,٦٥٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠

فترى انَّ فرنسة كانت افقر الدول بالفحم نسبةً الى سكَّانها وقد خسرت في الحرب كثيرًا من مناجمها التي اخربها الالمان فصارت حاجتها الى الفحم مائة ستُصاب صناعتها بضربة قاضية إنْ لم يُستدرك الخلل . والفحم احدى الضرائب المطلوبة من المانية . وفي الاخبار الواردة اخيرًا انَّ انكلترَّة ستواصل اليها ارساليَّات فحمها . وقد فكَّروا في طريقة اقتصاديَّة لنقلهِ الى فرنسة بأنْ تحوَّل قوَّتهُ الى كهرباء فيُنقل بالقلوس في مضيق المنش الى باريس وفي ذلك توفير عظيم

الرسالة الفرنسيسيَّة
وشهداؤها في الولاية الحلبيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد احتفلت الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة قبل سنتين بتذكار المئة السابعة منذ نزل منشئها الجليل القديس فرنسيس الاسيزي الى سواحل سوريَّة فوضع اساس رسالة خاصَّة لابنائهِ الفضلاء قاموا بها من بعدهِ في انحاء فلسطين والشام ومصر وقبرس احسن قيام فباشروا من الاعمال ما لا تحصرهُ صحائف الكتب الضخمة وقاسوا من المشقَّات ما لا يصفهُ اليراع وداوموا دفاع الابطال عن الاراضي المقدَّسة وكثيرًا ما صبغوها بدمائهم الزكيَّة مستشهدين في سبيل الايمان

وليس غرضنا في هذه العجالة أن نروي مآثر الرهبانية الفرنسيسية في ما سلف من الاعوام وانَّما نكتفي بذكر ما احرزتهُ من الفخر بتقدمة سبع ضحايا جديدة لله في مطاوي السنة المنصرمة كانوا كمحرقات اصعدتها الى عرشهِ تعالى فتنسَّمها الله برائحة الرضى

*

وقبل ان ندوّن خبر استشهاد هؤلاء الابرار احببنا ان نصف ميدان جهادهم حيث نالوا تاج الظفر

للآباء الفرنسيسيين الكرام في ولاية حلب ما عدا حاضرتها ستّ مراكز احتلُّوها لخدمة النفوس في اواسط القرن الماضي وهي القنيَّة وعينتاب ومرعش وبيجه قلعه ومجوك درعي ودن قلعه

﴿ القنيَّة ﴾ قرية موقعها في جبال انطاكية في جنوبها الشرقيّ قريبًا من نهر العاصي يبلغ عدد اهلها نحو ٨٠٠ نفس كانوا من طائفة الارمن الغريغوريين فارسلوا الى القاصد الرسوليّ الطيّب الذكر السيد لودوفيكو بياتي يطلبون منهُ مرسلًا يرشدهم الى الدين الكاثوليكيّ فلبّى دعوتهم وارسل اليهم سنة ١٨٧٨ الاب فيديلي

(امين) اورسيني دي غراتشيو فاستنفد الوسع في ارشادهم وهدى اكثرهم الى الدين الكاثوليكي وفتح لهم المدارس منها مدرسة للصنائع وانشأ لمرضاهم مستوصفاً وبنى لاخوته الرهبان ديرًا على اسم القديس يوسف . وقريباً من القنيَّة قرية اخرى تدعى اليعقوبيَّة ردَّها المرسلون الى حجر الكنيسة ايضاً

﴿ عينتاب ﴾ هي المدينة التي فتحها مؤخرًا الفرنسويُّون في شمالي حلب على مسافة يومين منها . موقعها في جبال صعبة عدد اهلها ٥٠،٠٠٠ النصارى منهم نحو ١٥،٠٠٠ مسيحيّ نصفهم كاثوليك ارمن وسريان وروم ملكيُّون . ففي سنة ١٨٨١ عهد مجمع انتشار الايمان الى الآباء الفرنسيسيين ان يفتحوا هناك ديرًا ويتصدُّوا لمساعي الرسالة البروتستانيَّة الاميركانية ففعلوا . وكان القائم بهذه المهمَّة الاب قنشترو دا برينو فبنى في عينتاب ديرًا على اسم القديس بوناونتورا وانشأ مدارس ابتدائية للاحداث الذكور والاناث فبلغ عددهم المائتين ثم خلفهُ الاب يعقوب دي كستلنداما فاستحضر الادوية لفتح اجزانية مجَّانية ومستوصف وكان عدد المرتدّين الى الايمان الكاثوليكيّ سنة ١٨٩٦ وحدها ١١٠ من الاهلين

﴿ مرعش ﴾ كان اسمها القديم جرمانيقية نسبةً الى القائد الروماني جرمانيكس الشهير بحكمه على سوريَّة المتوفَّى السنة ١٩ للمسيح . موقعها شمالي غربي عينتاب على مسافة ثلثة ايام من حلب عند مصبّ نهريْ آق سو وجيحان جعلها الاتراك مركزًا لاحد سناجق ولاية حلب عدد اهلها بين ٥٠،٠٠٠ الى ٦٠،٠٠٠ النصارى منهم نحو ٢٢،٠٠٠ بينهم الكاثوليك نحو ١٥،٠٠٠ منهم سريان وروم كاثوليك وارمن كان للآباء الفرنسيسيين فضلٌ عظيم في ارتدادهم على يد المرسل الغيور الاب جزوالد من جينوا سنة ١٨٥٨ . لكنَّ رسالتهم هناك لم تستقرّ الاَّ في سنة ١٨٦٦ فكان مُنشئها الاب قنشترو السابق الذكر الوافر الفضل تفانى في خدمة اهل مرعش ماديًّا وادبيًّا فعُني بتهذيب احداثهم وتربية ايتامهم وعيادة مرضاهم ومعالجتهم خصوصاً في زمن فشوّ الهواء الاصفر مع مساعدة فقرائهم . وبنى هناك ديرًا رهبانيَّته على اسم القديس انطونيوس البادوي . واقتدى به اخوتهُ فكانوا سدًّا في وجه اعداء الدين لاسيَّما البروتستانت . ولمَّا ثار الاتراك على الارمن سنة ١٨٩٥ نجا كثيرون من النصارى بهمَّة الآباء المرسلين ثمَّ وزَّعوا عليهم الحسنات الوافرة فانقذوهم من

المجاعة كما خلَّصوهم من السيف وواصلوا عنايتهم بهم عدَّة اشهر

﴿ ينيجه قلعه ﴾ اي القلعة الجديدة هي من اكبر قرى سنجق مرعش على بُعد نحو ٣٠ كيلومترًا منها شماليًّا الفربيّ عدد اهلها ٣،٥٠٠ بينهم نحو الف ارمنيّ كانوا من الطائفة الغريغوريَّة وعزموا على الإسلام لشحناء وقعت بينهم وبين راعيهم فبلغ خبرهم الآباء الفرنسيسيين في مرعش فاسرع الى اغاثتهم الاب مرشلينو دي مونتيفرنكو سنة ١٨٧٥ واستنفد الوسع في خدمتهم فانضمُّوا الى الكنيسة الكاثوليكيَّة وثبتوا على ايمانهم . وللآباء المرسلين هناك ايضاً مشروعات ادبيَّة وخيريَّة . وديرهم على اسم القديسة مرغريتا دي كورتونة حرقهُ الاتراك سنة ١٨٩٥ كما اعملوا السيف في نصارى القرية الَّا ان الاب عمانويل غرْسيا تمكَّن من انقاذ صغار مدرسته فنجا بهم الى نواحي زيتون ثمَّ عاد الى القرية لمساعدة المنكوبين

﴿ بجوك دره سي ﴾ هي قرية تابعة لمرعش على مسافة سبعة كيلومترات غربيّ مرعش اهلها كلُّهم نصارى ارمن ارتدُّوا الى الكثلكة على يد الاب مرشلينو الروما اليه سنة ١٨٨٤ . ولمَّا وقعت حوادث سنة ١٨٩٥ المشؤومة كان رئيس تلك الرسالة الاب سلفاتوري لِلّي من قبادوقية فاحاط الاتراك بالقرية واوقفوا رجالها بامر قائدهم مزهر بك وكان في جملتهم الاب سلفاتوري فساقوهم الى مرعش وقتلوهم في الطريق واحرقوا جثثهم وكان مزهر بك عرض على الاب سلفاتوري ان يُسلم فزجرهُ الاب بعُنف مستكرهاً فامر مزهر بقتله فقُتل شهيد ايمانهِ مع احد عشر من رفقتهِ في ٢٠ تشرين الثاني . واحرق الدير الى ان عاد الاب مرشلينو في آذار من السنة ١٨٩٦ وسعى باصلاح الخراب

﴿ دن قلعه ﴾ هي قرية ثالثة قريبة من مرعش في شمالها الغربيّ على مسافة ساعتين منها لا يزيد سكَّانها على ٦٠٠ انشأ الاب مرشلينو رسالتها مع بجوك دره سي وردّ الثلث من اهلها الى الكثلكة . ثمَّ احرق الاتراك ديرها وبيوتها سنة ١٨٩٥ الَّا انَّ اهلها نجوا بنفوسهم مع الاب الفرنسيسكاني عمانويل ترينو والاخ ڤكتور ولحقوا بجبال زيتون ثمَّ عادوا بعد أن هدأت الامور وافرغ الاب عمانويل كنانة جهدهِ لتلافي الاضرار ومدّ يد المساعدة الى المبؤوسين

وكان انشاء هذه المقامات السبع للرسالة الفرنسيسيَّة في ولاية حلب واخصُّها في

حدود الارمن في القسم المعروف بأرمنيَّة الصغرى في القرن السابق

وألحقوا بها مراكز أخرى ثانويَّة في بندق وكيسان سنة ١٨٨٠ ونصيبين قرب الفرات سنة ١٨٨٠ . هذا ما عدا رسالاتهم في قيليقية وجبل كلسيوس مثل كز بازار (عين زربة) وكسّاب وباجي اغاز . وربّما طافوا في الانحاء المجاورة لمراكزهم وبشّروا بالايمان الكاثوليكي في قراها وردُّوا الى حجر الكنيسة كثيرين من الغريغوريين وغيرهم

ولمّا كانت السنة ١٩٠٩ بعد اعلان الدستور التركي تكرّرت في تلك الجهات الحوادث المؤلمة والفتن والمذابح فنُهبت اموال الارمن وقُتل منهم كثيرون فكان المرسلون يبذلون طاقة جهدهم في خلاصهم وردّ الظلم عنهم وتوزيع المساعدات المالية الطائلة على المكروبين منهم وتحمّلوا بسببهم مشاقّ عديدة . وقد اهتمّ حينئذٍ كثيراً لحالهم نيافة قاصدنا الرسولي السيّد فريديانو جيانيني فزارهم وساعدهم بيد سخيَّة وتبرّع المحسنون البيروتيُّون بمبالغ وافرة لتلطيف بلاياهم

*

على انَّ اختلاط بني القديس فرنسيس بالطائفة الارمنيَّة وانقطاعهم الى خدمتها جلب عليهم قسماً من بغض الاتراك للأمَّة الارمنيَّة وكان هؤلاء المرسلون الغيُّورون كلّما يصبُّ العثمانيُّون على الارمن سجال حتفهم ينالهم نصيب منها كما رأيت في كوارث السنة ١٨٩٥ و ١٩٠٩

ولمّا انتشبت الحرب العموميَّة في السنة ١٩١٤ وانحازت الدول العثمانيَّة الى جانب الدول المركزيَّة حملت الاتراكَ فظاظتُهم الطبيعيَّة على التنكيل بالنصارى عموماً وبالارمن خصوصاً فسالت الدماء انهاراً وارتكبوا من الفظائع ما يسوّد وجه المدنيَّة بل الانسانيَّة عينها

فكان المرسلون كألوف عادتهم هم الملجأ الوحيد لهؤلاء المساكين لا يألون جهداً في ضماد جروحاتهم حيثما وُجدوا . لكنَّ اكثرهم اضطرُّوا الى مغادرة مراكزهم ولحق الذين بقوا منهم بمن شُتّي فنهم من نُفوا ومنهم من حُبسوا وقُتلوا . وتمكّن الآباء الفرنسيسيُّون في جهات مرعش وعينتاب ان يحفظوا مدّة ادبرتهم الى ان دخلت

الدولة الايطالية في الحرب فتفرّق اكثرهم وتركوا مراكزهم تحت رحمة بني عثمان

وما عاين رؤساء الاراضي المقدسة لوائح السلام حتى فكّروا في فتح اديرتهم والاسراع الى خدمة الباقين من النصارى بعد نكباتهم الفادحة . فتقدّم حضرة الرئيس فردينندو ديوناليفي الى بعض رهبانه بان يذهبوا الى رسالتهم في ولاية حلب وما كان ليظنّ انّهم بعد إعلان الهدنة سيعيبهم شيء من البلايا وانه يرسلهم كالسيد المسيح مثل خراف بين الذئاب . فلبّى المرسلون دعوة رئيسهم بكل نشاط غير مبالين بالاخطار وساروا الى مراكزهم في اوائل من السنة ١٩١٩ فمرّ عليهم اربعة اشهر وهم في جوزة الكماليين والعصابات الثائرة يتحمّلون ضروب الشدائد ويقاسون الاوجاع الوانًا الى أن قتلوهم بغضاً بدينهم وغيرتهم الرسولية في كانون الثاني سنة ١٩٢٠ . ولم يبلغ خبرهم اليقين الى رؤسائهم الّا بعد مدّة . فلمّا تحقّق حضرة رئيس الاراضي المقدسة الفائق الاحترام صحّة الخبر امر باقامة جنّاز حافل لراحة نفوسهم ووجّه اليهم بالرسالة الآتية التي ضمّنها المعلومات المفيدة عن استشهادهم وعرّبها حضرة الاب ليونردو عقليان رئيس الآباء الفرنسيسكان في صيداء فنشرتها جريدة البشير في ١٦ ك ٢ ١٩٢١ :

الى الآباء والاخوة ابناء الرهبنة الفرنسيسية في الاراضي المقدسة تحية وسلام بالربّ

مضت علينا مدّة من الزمان ونحن بقلق عظيم ننتظر من يوم الى يوم ومن شهر الى آخر خبرًا ما مفرحاً عن اخوتنا المرسلين الموجودين بقيليقية يزيل عنّا وعنكم الغمّ والاكتئاب من جرّاء انقطاع اخبارهم كلّ هذه المدّة حتى بلغنا اخيرًا الخبر المحزن الذي ازاح لنا الستار عمّا اصابهم هناك اذ ذاقوا مرارة الموت بانواع مختلفة في الآونة الاخيرة لداعي انّهم مسيحيّون وكاثوليكيّون وفرنسيّون

وكنّا فيما مضى غير قادرين على الشخوص بذاتنا الى رسالاتنا رغم ما بذلنا من الجهد والاجتهاد لهذه الغاية نظرًا للموانع الجمّة التي كانت تحول دون اتمام المرغوب : فاضطرّنا الامر الى ارسال تحاريرجمّة لكثيرين من ارباب السلطة هناك وألححنا بالسؤال بصورة محرّجة كي يفيدونا صريحاً عنهم . فوردت الينا الاخبار

الحقيقية منهم واذا هي تتضمن الاثبات للرأي العام على انَّ اخوتنا هناك أُعدموا عن آخرهم في وسط ميدان اعمالهم الرسولية كجنود امناء وباذلين حياتهم حبًّا بفاديهم الالهي وحفظاً للقطيع المسلَّم اليهم

وعليه نبأنكم أيها الاخوة الاعزاء الاخبار الصحيحة المدعومة بشهادة الوكلاء من قبلنا لتطلعوا على تفاصيلها المحزنة والمفرحة معاً. داعينكم الى تقدمة الاستغاثات لراحة نفوسهم ان كان ثمَّة احتياج الى ذلك لأنَّ من يقبل الموت صوناً لايمانه وحفظاً لاعتقاده وذوداً عن خرافه لا شكَّ في انهُ ينال السعادة الابدية كما هو اعتقادنا المكين بان اخوتنا هؤلاء حازوا اكليل الاستشهاد المجيد بثباتهم العجيب واحتمالهم الموت حبًّا بفاديهم الالهي

وكان بودنا ان نسهب الكلام عن كلّ واحد منهم غير انَّ شدَّة وطأة الحزن تمنعنا عن الاسهاب ويتوقف القلم جزعاً والتياعاً. لكننا اظهاراً لأعمالهم المجيدة وتبياناً لسامي جهادهم المقدَّس اتينا برسالتنا هذه ذاكرين لكم أيها الاخوة الاعزاء كلّ واحد منهم على حدة بوجيز الكلام آملين ان يقوم غيرنا بهذه المهمَّة الشريفة احسن قيام في ما يأتي من الايام فنذكرهم الآن حسب تاريخ دخولهم في رهبانيَّتنا المقدَّسة فنقول:

*

انَّ الاب فرنسيس دي فكتوريو من روتيليانو (ايطالية) والاخ الفرد دوليتس من ماجيرز (هنغارية) والاخ سلفاتوري ـ اباتيني من بيزولي ثلثة من اخوتنا وجَّههم في ايلول سنة ١٩١٩ الى رسالتنا في قرية «مجوك دره سي» بجوار مرعش التي كانت بحالة الخراب في غضون الحرب العمومية فاعتمدنا على ان نقيمها ثانية باذلين كل نفيس في مساعدة وإسعاف مَن بقي من المسيحيين الذين عادوا الى وطنهم فقدَّمت لهم ترَّاسانطة ما كانوا مفتقرين اليه من لوازم المعيشة وفتحت لهم ميتماً يجمع فيه اليتامى التاعسين الذين بلغوا منذ الابتداء الثلثين عدًّا

وكان اخوتنا المرسلون الثلثة المتقدم ذكرهم باذلين كلّ ما باستطاعتهم لتخفيف بلايا ومصائب ابنائهم هناك مشتركين معهم بأفراحهم واتراحهم سالكين نحوهم

سلوك اب وطبيب وصيدلي ومعلّم وكاهن حيث لم يكن هناك من ملجأ لهم سوى المرسلين المذكورين

على انهُ لدى انفجار بَرَكان مذابح كانون الثاني المتصرم اصبح مرسلونا بخوف عظيم . وكان قلقهم على الايتام والمسيحيين اكثر منهُ على انفسهم - غير انَّ احد الاتراك من سكان تلك القرى المدعوّ «ليان اوغلي علي» تقدَّم الى الرئيس ورفقائهِ واخذ يطمئنهم ويشجّعهم بظاهر الصداقة والاخلاص . ودعا اخوتنا الى الذهاب هم والايتام جميعهم مع ما يستطيعون جلبهُ من الاشياء البيتيَّة وما يقدرون على حملهِ وذلك الى منزلهِ الذي لا يبعد كثيراً عن الدير حيث يجدون لهم ملجأ امناً . وكان قد اعدَّ على قولهِ محلّات مختلفة لاضافة جميع المسيحيين

فلبَّى المرسلون الدعوة شاكرين وانتقلوا صحبة الايتام والمسيحيين بكل ما لديهم من الاثاث الى بيت المضيف واخذوا قليلاً من الراحة والطعام . ولم يمضِ الَّا قليل من الزمان وهم يتحادثون مع صاحب البيت حتى طرق آذانهم صوت إطلاق بندقيَّة من الخارج . فاندهش اخوتنا وسألوا ليان المذكور عن السبب . فما كان منهُ الَّا أن اظهر ما يُبطنهُ من الخبث وما يكنهُ من الخداع والخيانة وأخرج غدَّارةً واطلقها على الرئيس واخوانهِ دفعاتٍ متكرّرة اجابةً على سؤالهم وقتلهم وهم عُزَّل بينما كان شركاؤه الاسافل المتوحّشون طبقاً للاتفاق السابق بينهُ وبينهم يذبحون الايتام والمسيحيين فلم يُبقوا على احدٍ منهم ثمَّ نهبوا الموجودات من الكنيسة والدير وبيوت المسيحيين واحرقوا ما بقي

وقد حدث هذا الامر الفظيع كما بلغنا في ٢٣ كانون الثاني . وفيما نحن آخذون باحتفال تذكار خطبة مريم البتول المثلثة القداسة طارت نفوس اخوتنا الى مشاركتها بأفراح عرسها في السماء

*

ثمَّ انَّ الاب البير من كافي كان ونيساً على رسالتنا في قرية ينيجه قلعه وقد قام بوظيفتهِ احسن قيام نحو المسيحيين مدَّة الحرب العموميَّة فكان يتنقَّل من قرية الى اخرى في طلب وجمع شتات المسيحيين المتفرّقين في تلك الاصقاع معزّياً ايـاهم في

كربتهم . فلمّا اتى الفرج وعاد الى رسالته العزيزة اخذ يصلح ما قد خرب بغيرة ونشاط لا يعرفان الملل . واذا بالاتراك هجموا على القرية وقتلوا بحدّ السيف شرّ قتلة الاب البير وجميع المسيحيين

*

امّا الاب اسطفانوس بالنقاتيان من مرعش فكان رئيساً منذ سنين غير قليلة على رسالتنا في دن قلعه . وقد احبّهُ المسيحيّون كثيرًا اذ شاهدوا فيهِ قلب ابٍ وراعٍ ومرشدٍ ساهر . وقد شارك قطيعهُ العزيز مدّة الحرب في احزانهِ واوجاعهِ غير انهُ أُكره على السير في طريق المنفى . فلمّا أُتيح لهُ العَوْد الى رسالتهِ المحبوبة جمع العيال المتشتتة واصلح ما كانت أخربتهُ ودمّرتهُ ايدي الأئمة الظالمين واذا بعاصفةٍ جديدة هبّت على دن قلعه نحو ٢٣ك٢ فهجم الاتراك بقيادة المدعو مصطفى النجّار على القرية التعيسة واضرموا النار في منازل المسيحيين فهرب هؤلاء . والتجأوا الى ديرنا . ثمّ اجتمع الجميع في الكنيسة فأحاط بها الاتراك من كلّ جانب واخذوا يطلقون بنادقهم عليها . غير انّهم حبًّا بتوفير الجبخانة اتّخذوا اقرب الوسائل اشباعاً لجشعهم وحقدهم فاوقدوا النار في الدير والكنيسة فذهبت تلك النفوس ضحيّة النار والأنقاض المتردّمة واضحت الكنيسة بعد ما كانت ملجأً ومصلًّى لهم مذبحاً ومقبرة

*

ثمّ انّ الاخ يوسف عقليان من مرعش كان احد مرسلينا في ديروطهِ فعندما دخل الاتراك المدينة في كانون الثاني المنصرم ابرزوا الحكم المبرم بالنفي على جميع المسيحيين . فامتثل اخونا مكرهاً وتبع رفقاءهُ مشاطرًا اياهم التعب المذيب والسير المضني حتى وصل آطنه في ١٥ شباط وسط البرد القارس سائرًا في طرق صعبة ومفاوز وعرة منهزماً من وجه الجند التركيّ المتوحش محروماً من كلّ معونة مضنوك القوى واذ ذاك شعر انهُ اشرف على الموت فاسرع رفقاؤهُ في البؤس والشقاء مقدّمين لهُ المقويات والمنعشات فلم يُجْدهِ كلّ ذلك نفعاً . فاسلم روحهُ في يد فاديهِ الالهي بعد قليل من الزمن بحضور الاب ماتيرن موري رئيسهِ وشريكهِ في المنفى

*

اما الاب ليونردو بلوتشي من اوسيمو (ايطالية) فهو الاخير في مصافّ جند الله

في مصاف الشهداء . انتقل هذا الكاهن في شهر تشرين الاوَّل المنصرم الى مدرستنا في حلب حيث تقلَّد وظيفة وكيل الخرج وتعليم صناعة التصوير التي كان بلغ فيها حدّ الاتقان حتَّى انهُ كان يماثل احسن المصوّرين برسومهِ اللطيفة . وكان ذا غيرةٍ ونشاط في احياء تلك المدرسة مهما كلَّفهُ الامر مشقَّة وعناء فسافر الى القدس لقضاء مصالح هذه المدرسة العزيزة لديهِ . وحينما وصل في ٢٠ آب المنصرم بالسكَّة الحديديَّة الى محطَّة خربة الغزال على طريق حيفا هجمت قوَّة من العربان واكرهتهُ هو ورفقاءهُ على النزول من السكَّة واطلقوا عليهِ طلقتين اصابهُ الاوَّل في صدرهِ والآخر في فمهِ ثمَّ عرّوا جسدهُ ورفعوهُ على خازوق . وقد اخبرنا بذلك رفقاؤهُ بالسفر الذين شاهدوا عذابهُ وميتتهُ هذه الفظيعة المؤثرة . والمذكورون لم يزالوا في قيد الحياة . وقد ذكرتها الجرائد العربيَّة في حينها

*

والآن بما ان اخوتنا هؤلاء السبعة الشهداء فارقوا هذه الفانية فنحن نعتقد اعتقاداً متيناً ثابتاً انهم نالوا اكليل الشهادة وحازوا على السعادة الخالدة مكافأةً على بذلهم حياتهم وسفك دمائهم حبًّا بفاديهم الالهي وغيرتهم القويَّة على حفظ رعاياهم ضمن حظيرة الايمان القويم

وبما ان البشر ختموا مؤتمر الصلح والسلام فلا شكَّ انهم يتضرعون الى الله سبحانهُ وتعالى الذي وحدهُ يستطيع ان يعطي العالم السلام الحقيقي فيصبح هذا السلام سائدًا على الكون كافةً وبذلك يعود البشر الى الحب المتبادل ويكونون كأخوة دافعين كل طمع وجشع من قلوبهم وافكارهم . وسنبتهل نحن ايضاً لاجل حفظ اقليم الارض المقدَّسة من كل ضرر وشرّ لكي يحرسهُ الرب بشفاعتهم ويعضدهُ وينصرهُ بغيث نعمهِ الفائضة كما انهم قد سقوهُ بدمائهم فيستريح ويحيا وينمو بروح الحب الالهي المسيحي الى الابد

صفحة منسية من تاريخ تونس (١٥٥٠)

للاب لويس شرل اليسوعي

تقتطف هذه النبذة التاريخية من كتاب طبع في العام الماضي في باريس كتبهُ احد المرسلين اليسوعيين في الجزائر الاب لويس شرل الذي توفي سنة ١٩١١ قبل نجاز تأليفهِ هذا فنشرهُ خديثًا الاب روزيت واهداهُ الى المشرق وهذا عنوانهُ

R. P. Louis Charles : Les Jésuites dans les Etats Barbaresques, Algérie et Maroc. Ouvrage posthume publié par le R. P. A. Rosette, *Paris, P. Lethielleux*, 1920, *in*-16, *VI*-136

والنبذة المذكورة تفيدنا عن حادث قلَّما اتَّسع في ذكره المؤرخون فاستخرجهُ الاب شرل من سجلَّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة وبعض التواريخ الاسبانية

شرقيَّ سوسةَ احدى حواضر بلاد تونس على ساحل البحر المتوسط بازاء جزيرة صقلية مدينةٌ شهيرة تُدعى المهديَّة استحدثها سنة ٩١٦م المهديّ عبيد الله اوَّل الخلفاء الفاطميين قريباً من مدينة قديمة كانت تسمَّى افريقة (Africa) وجعلها كرسيَّ مملكتهِ. قال ابو الفداء في تقويم البلدان (ص ١٤٥) : « انَّها على طرف داخل في البحر كهيئة كفٍّ متَّصل بزند والبحر محيط بها غير مدخلها وهو مكان ضيِّق مثل سَبْتة وحصَّنها بسور شاهق في الهواء بالحجر الابيض بأبرجة عظام وابتنى بها القصور الحسنة الشارعة على البحر والظاهرة منهُ وابتنى الناس بالمهديَّة اجلّ الابنية وصارت من اجلّ الامصار »

فهذه المدينة الحريزة كانت في القسم الاوَّل من القرن السادس عشر تحت حكم الدولة الحفصيَّة التي كان كرسيّها في حاضرة تونس الَّا ان سلاطين بني عثمان حاولوا بسط سيطرتهم على سواحل افريقية من الجزائر وطرابلس الغرب وتونس ومرَّاكش وساعدهم على ذلك بعض مشاهير القرصان اخصُّهم خير الدين بربروسة واخوهُ عروج ثم دراغوث وكانوا يعيثون فسادًا في تلك الجهات تارةً في سواحل المغرب وحيناً في شواطئ صقلية وايطالية فينهبون ويسلبون ويحرقون ويستبيحون الاهلين اسرًا وقتلًا

وكانت صقلية وقتئذٍ في حوزة الامبراطور شرلكان وله في الغرب وتونس عدة مستعمرات فرأى في غارات هؤلاء القرصان إجحافاً باملاكه ولاسيما بعد موت خير الدين اذ ولّى السلطان سليمان الغازي المعروف بالقانوني دراغوث على اسطولٍ كبير وقلّدهُ رتبة قپودان باشا فسار الى مدينة المهديّة واذ رآها حرزة منيعة لا يقدر على فتحها دخلها بالمكر والخداع بواسطة احد سكّانها الذي باع وطنهُ بالاصفر الرنّان

فصفا الجوُّ لدراغوث اذ وجد لسفنهِ مرفأً امينًا وحصناً حصيناً وزاد في استحكامات المهديّة التي اتّخذها كرسيًا لملكهِ وجعل الدفاع عنها حاميةً من الاتراك فصارت امنع من عقاب الجوّ وكثيرًا ما كان يخرج لمحاربة النصارى فيضبط سفنهم ويغير على سواحلهم ويشتّتهم في سكّان مُدنها ما شاء

فاهتمّ الامبراطور شارلكان ليضع حدًّا لهذه الغارات وامر رئيس اسطولهِ الاميرال اندري دُوريا ونائبهُ في صقلية جان دي ڤيغا بان يزحفا على مدينة المهديّة ويستوليا عليها مهما تكلّفا من المشقّات في ذلك

فتحفّز الاميرال من ساعتهِ لفتح المهديّة وجمع خمسين مركباً حربيّة انضمت اليها بوارج البابا يوليوس الثالث وغرندوقة توسكانة مع فرسان مالطة . وكان جان دي ڤيغا رجلًا ديّناً فلم يشأ ان تُحرَم جنودهُ من الكهنة في تلك الحملة ليهتمّوا بشؤونهم الروحيّة وكانت الرهبانيّة اليسوعيّة المنشأة حديثاً قد باشرت في صقليّه باعمال جليلة ألفتت اليها نظر جميع الاهلين . وكان رئيسها وقتئذٍ احد مشاهير زمانهِ الاب جاك لَيْنس خطيب المجمع التريدنتيني ونسيج وحدهِ في العلم والعمل فايّاهُ انتدب نائب ملك صقليّه ليسير في رفقة تلك الحملة باذن رئيسهِ العام القديس اغناطيوس دي لويولا

واذ كانت تلك السنة ١٥٥٠ سنة اليوبيل العظيم طلب الاميرال الى القديس ان يلتمس من الحبر الاعظم بان يَمنح غفران اليوبيل الجنود المحاربين

خرج الاسطول من پالرمة في ٢٢ حزيران ١٥٥٠ وكان الاب لَيْنس مع الجيش في مركب النائب الملكي يصحبهُ الاخ المساعد مرتين زُرْنوزا ليقوم معهُ في خدمة الجرحى والمرضى . سار الاسطول مدفوعاً بالرّخاء الى جزيرة قفرةٍ تُدعى فاڤينيانة وبلغ اليها بعد يومين . فتقدّم النائب الى الاب لَيْنس بان يخطب في الجيش ففعل وذكّر

الجمهور بصفات الجنديّ المسيحيّ وواجباته نحو خالقه ونحو نفسه وما يتحتّم عليه لقريبه ولاسيّما لرؤسائه . ثمّ واصل الاسطول سيره اربعة ايّام حتّى بلغ المهديّة

وفي سحر ٢٨ حزيران انحدر الجنود الى البرّ دون ان يتصدّى لهم العدوّ وكان دراغوث غائباً فعسكروا هناك فوق ربوة تُشرف على المدينة ثمّ شرعوا في حصارها بكل نشاط . على انّ حمارّة القيظ لم تلبث ان تضنك قواهم ففتكت الامراض بكثيرين منهم اذ كانوا مضطرّين الى الشغل في الشمس وهم شاكون بالسلاح لئلّا يفاجئهم العدو عزّلاً . فكان الاب لينس والاخ رفيقهُ لا يدّخران وسعاً في خدمة المرضى واذ لم يقويا على مساعدة الجميع استدعى النائب اربعة من الرهبان الكبوشيين لمعاضدتهما لكن الوباء فشا فيهم بعد قليل فمات اثنان شهيدَي محبّتهما ونُقل الآخران الى المستشفى وأُصيب معهم اكثر من ٥٠ شخصاً من المرضين والاطبّاء والجرّاحين الّا انّ الاب لينس ورفيقهُ نجوا بنعمة خاصة من الله وتفانيا في خدمة المرضى الذين كانوا يعدّون انفسهم سعداء بأن يموتوا بين ايديهما فيقبلون الموت مستسلمين الى رحمة الله ومتأهبين لآخرتهم بقبول الاسرار المقدّسة بكل ندامة وتقى

وبينما كان الجنود ساعين في تضييق الحصار اذ بلغ القبودان دراغوث انّ مدينتهُ في خطر يتهدّدها الفرنج فعاد اليها مسرعاً ونزل ليلاً الى البرّ ١٢٠٠ من الترك والمغاربة مع ألفين من عرب البادية . ففي صباح النهار التي احد الضبّاط وهو السيّد القونس يشتبك مع فرقة من الجند ليطلبوا علفاً للخيل وخشباً . وارسل النائبُ معهم السيّد لويس بيريس دي ڤرغاس حاكم برج العيون (la Goulette) سابقاً مع شرذمة أخرى ليكبّوا العملة من شغلهم ويردّوا عنهم غارات العدوّ

فما عتم دراغوث مع جنوده التركيّة انهجموا عليهم فالتحم القتال بين الفريقين ودام ساعة وكاد الفرنج يفشلون لقلّة عددهم لولا انّ الخبر بلغ السيّد غرسية الطليطلي فبادر الى معونتهم مع كتيبة من الجند الذين ابلوا احسن بلاء فاوقفوا دراغوث وعسكرهُ وهم يحاولون المرور بينهم ليدخلوا المدينة وينضمّوا الى اهلها . وقد امتاز في تلك الواقعة فرسان مالطة الفرنسويون فكانوا كالجدار الحيّ في وجه العدوّ كما انّهم منعوا اهل المدينة من الخروج لمساعدة دراغوث . وحمي وطيس القتال حتّى دام خمس ساعات ورأى دراغوث كلّ مساعيهِ خائبة فعاد منكوساً مكسوراً الى سُفُنهِ ثمّ أبحر

ليطلب له جيشاً آخر فيعود الى الدفاع عن مدينته وهو يحرق الأرم على كرته

وكان جيش الفرنج في اثناء ذلك انتهى من تجهيز ادوات الحصار واستعد للهجوم على المدينة فاراد الاب لَيْنِس ان يتأهبوا للامر بقبول الاسرار وذبح غفران اليوبيل فأعلن ذلك في اطراف المعسكر بضرب الطبول ونفخ الابواق. ولما احتشد الجند ألقى المرسل الغيور فيهم خطاباً غاية في البلاغة والتحمس حضّهم فيه لإعداد نفوسهم لربح الغفران المذكور وتلا على مسامعهم رسالةً للقديس اغناطيوس يبشرهم بهذه النعمة السابغة فدونك تعريبها:

اغناطيوس دي لويولا رئيس الرهبانية اليسوعية العام

حماية السيد المسيح ومحبته تحلّان على كافة السادة والاشراف والقوّاد الشهام والجنود وسائر المسيحيين الذين يجاهدون في افريقية في سبيل الايمان وبه ينالون الخلاص الابدي

انَّ السيد الكلي الشرف جان دي ڤينا والنائب الملكي على صقلية والقائد الاعظم على جيشكم المقدّسة سبق فكتب لي باسمه الخاص وباسم جيشكم الباسل أن التمس من قداسة سيدنا الحبر الاعظم البابا يوليوس الثالث ان يمنحكم انتم ايضاً المجاهدين في بلاد غير المؤمنين لمجد السيد المسيح وارتفاع شأن ايماننا المقدس نعمة اليوبيل لتربحوا ذلك الغفران الذي يناله الوافدون الى رومية بزيارة كنائسها العظمى. فلمزيد انعطاف قديستو نحوكم وبقوة سلطانه الرسولي تلطّف ومنحكم جميعاً تلك النعمة الجزيلة. ولذلك لا بُدَّ لكم ان تنيبوا الى الله بالندامة والاعتراف فيزيد تمسُّكم في محاربة اعداء الصليب على قدر المنّة التي أفاضها عليكم الربّ من كرمه تعالى وجودة الكنيسة عروسه المقدسة. وهكذا تجنون من حربكم ثمارهُ الشهيّة سواء تلتم الانتصار على الارض او فُزتم بالسعادة الابدية بالموت في سبيل الله بعد غفران خطاياكم. وقد حرّرتُ لكم هذه الرسالة لأعلن لكم بهذه البشرى وختمتها بطابع رهبانيّتنا

أعطي في رومية في ٧ تموز سنة ١٥٥٠

فكان اوّلُ من اجاب الى دعوة الاب لَيْنِس اركانَ الحرب ورؤساء الحملة كالسادة الاشراف ألڤنس دي كويڤا حاكم الغوليطة وفردينند الطليطلي قائد جيش نابولي وألڤارو دي ڤيڤا قائد عسكر صقلية وفردينند ابن اخي النائب الملكي وعدّة ضبّاط ومعظم فرسان مالطة. فقضى الاب بضعة ايام وليالي يسمع اعترافاتهم ويوزّع عليهم الاسرار المقدّسة ولا يكترث لاتعابه لما يجدهُ من التعزية بمعاينة ايمانهم وتقاهم

ثمَّ حدّدوا يوماً للغارة العموميّة على البلد في ١٠ ايلول. واذ بلغ المحاصرين

انّ اهل المدينة اعدّوا متاريس واستحكامات قويّة وراء السور حيث نووا فتح ثلمتهم غيّروا للحال خطّة هجومهم من البرّ وقصدوا الهجوم من جهة البحر التي كان اهل المهديون تحرزها. ففي عصر النهار باشرت السفن باطلاق بطاريّاتها على الاسوار فدكّتها ونقضت ابراجها وللحال هجم الجنود الاسبانيّون كالسيل الجحاف لا يلوون على شيء. فدخلوا المدينة وناوشوا القتال الحاميةَ الاتراك ببأس وحماس عجيب لم يقوَ الاتراك على ردّه فهربوا من وجههم وسقط منهم صرعى في ساحة الوغى الف ومئتان وأسر تسعة آلاف . وقُتل من الاسبانيين خمسمائة وجُرح قرب الالف وكان من جملة القتلى فرديننند الطليطلي امير الاي جيش نابولي وفرننند لوبو امير الاي جيش لمبَرْدية وعدّة قوّاد وفرسان كور ورويدا وسُرّاغا واولوَا وموزوا

فاسرع الاب لينس في ١٤ ايلول وكتب الى رئيسه القديس اغناطيوس يبشّره بهذا النصر المبين وهذا تعريب رسالته :

انّنا والحمد لله بتمام العافية . ولديّ بشرى سارّة يجب عليّ تبليغها لحضرتك وهي انّ ربّنا السيّد المسيح في يوم الاربعاء الواقع في ١٠ ايلول تنازل بنعمة خاصّة من جلاله ومكّننا من فتح مدينة افريقة (المهديّة) . وفي هذا اليوم الاحد قد دخلنا جامع البلد وكرّسناه كنيسة على اسم القديس يوحنّا المعمدان . وقد أقيم فيها قداس حافل التيتُ في خلاله عظةً شكرًا لله تعالى على الظفر الباهر الذي اصبناه وقد اوضحتُ للرؤساء والجنود ما يترتّب عليهم من الواجبات ثمّ منحنا سرّ العماد لاربعة اولاد صغار ولرجل جُرح في الواقعة ومات بعد قليل. والامل معقود انّ هذا الانتصار يمهّد الامان للثغور النصرانيّة ويساعد المرسلين في جذب اهل هذه البلاد الى الايمان المستقيم . وقد سلّمت كتابي للسيّد جان اوزوبو من اقارب النائب الملكي في صقلّية ومن اعزّ اصدقاء رهبانيّتنا . فسأحسنوا وفادتهُ حبًّا بالرب الذي نطلب من مراحمه ان يصون حياتهُ لمجده.

الحقير لَيْنس

ابن حضرتك بالرب

ثمّ اهتمّ الاب لَيْنس قبل رجوعه الى ايطالية باختيار كاهن فاضل يقوم بخدمة عسكر الاحتلال . فعيّن لذلك راهباً من فرسان مالطة مع خمسة او ستّة آخرين يساعدونهُ في وظيفته واعطاهُ كل اللوازم لتقدمة الذبيحة الالهيّة من حلى كنائسيّة وآنية مقدّسة

اما النائب الملكي فاقام ابنهُ السيّد الثاروحاكمًا على البلد وعزّزهُ بحامية عددها ١٥٠٠ جندي موّنهم بذخائر حربيّة كافية . وكان قصدهُ ان يعود بنفسه الى صقلّية

في ٢٥ ايلول لولا نوء عظيم قلب البحر ظهرًا لبطن غرق بسببه سفينتان من الاسطول. وكانت سفينة النائب الملكي عتيقة متداعية الالواح وعليها الاب لينس فضايقتها الامواج حتى أيس الجميع من خلاصها وتمكن النائب ان يرسل الى البرّ ودعا اليسوعيّ الى مرافقته لينجو بنفسه فأبى لئلا يهجر الجند في خطرهم فمنّ الله عليهم بالنجاة بنعمة خاصة نسبها الجميع الى قداسة الاب لينس وبركته

ثمّ هدأ البحر وأمخر الاسطول الى صقلية في ٥ تشرين الاوّل وارسى في مدينة تريباني حيث التفّ الجنود حول الاب لينس قبل وداعه وشكروهُ على عميم فضله نحوهم وطلبوا بركتهُ كبركة احد اولياء الله وملائكته المنظورين. ثم بادر النائب جان دي ڤيغا وارسل الى الحبر الاعظم الرسالة الآتية في تاريخ ١٨ من الشهر :

أيُّها الاب الاقدس

انّ حضرة الاب الاستاذ لَيْنس الذي رافقنا باذن رئيسه في حربنا الافريقيّة المنتهية بالظفر قد اظهر طول مدّة هذه الرحلة غيرةً لا توصف وقام بكل ضروب الاعمال الخيريّة. ولكونهِ ذاهبًا الى رومية فقد كلّفتهُ بان ينوب عني بتقبيل أقدام قداستكم وبمفاوضتكم في بعض الشؤون الآئلة الى خدمتهِ تعالى وخير حاميتنا في افريقية. فأملي انّ قداستكم تصدّقون على ملتمسي كما تسازلتم وقبلتم دعوتي في امر اليوبيل الذي اتى بأغزر الثمار من التقى والصلاح. فليحفظ الرب قداستكم سنين طويلة لتدبير الكنيسة الجامعة

فصار للاب لينس عند بلوغهِ الى رومية ابهج استقبال واثنى الحبر الاعظم على خدمهِ المتعدّدة للكنيسة واعادهُ الى المجمع الترِيدنتيني لينوب عنهُ بصفة لاهوتيّه كما كان سابقًا. وما لبث بعد قليل ان خلف القديس اغناطيوس في رئاستهِ العامّة على الرهبانيّة اليسوعيّة وتوفي في رومية سنة ١٥٦٥

سلطانٌ يسوعيّ: المولى محمّد العبّاس

للمرحوم الاب لويس شرل اليسوعيّ

هو فصلٌ آخر من الكتاب السابق للاب شرل اليسوعيّ (ص ٩٧–١٠٧) . امّا السلطان المذكور فقد اشرنا اليهِ في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٥٤٩) في ردّنا على جريدة العرب

في ٢٥ ايلول لولا نوء عظيم قلب البحر ظهرًا لبطن غرق بسببه سفينتان من الاسطول. وكانت سفينة النائب الملكي عتيقة متداعية الالواح وعليها الاب لينس فضايقتها الامواج حتى أيس الجميع من خلاصها وتمكن النائب ان يرسل الى البرّ ودعا اليسوعيّ الى مرافقته لينجو بنفسه فأبى لئلا يهجر الجند في خطرهم فمنّ الله عليهم بالنجاة بنعمة خاصة نسبها الجميع الى قداسة الاب لينس وبركته

ثمّ هدأ البحر وأمخر الاسطول الى صقلية في ٥ تشرين الاوّل وارسى في مدينة تريباني حيث التفّ الجنود حول الاب لينس قبل وداعه وشكروهُ على عميم فضله نحوهم وطلبوا بركتهُ كبركة احد اولياء الله وملائكته المنظورين. ثم بادر النائب جان دي ڤيغا وارسل الى الحبر الاعظم الرسالة الآتية في تاريخ ١٨ من الشهر :

أيُّها الاب الاقدس

انّ حضرة الاب الاستاذ لَيْنس الذي رافقنا باذن رئيسه في حربنا الافريقيّة المنتهية بالظفر قد اظهر طول مدّة هذه الرحلة غيرةً لا توصف وقام بكل ضروب الاعمال الخيريّة. ولكونهِ ذاهبًا الى رومية فقد كلّفتهُ بان ينوب عني بتقبيل أقدام قداستكم وبمفاوضتكم في بعض الشؤون الآئلة الى خدمتهِ تعالى وخير حاميتنا في افريقية. فأملي انّ قداستكم تصدّقون على ملتمسي كما تسازلتم وقبلتم دعوتي في امر اليوبيل الذي اتى بأغزر الثمار من التقى والصلاح. فليحفظ الرب قداستكم سنين طويلة لتدبير الكنيسة الجامعة

فصار للاب لينس عند بلوغهِ الى رومية ابهج استقبال واثنى الحبر الاعظم على خدمهِ المتعدّدة للكنيسة واعادهُ الى المجمع الترِيدنتيني لينوب عنهُ بصفة لاهوتيّه كما كان سابقًا. وما لبث بعد قليل ان خلف القديس اغناطيوس في رئاستهِ العامّة على الرهبانيّة اليسوعيّة وتوفي في رومية سنة ١٥٦٥

سلطانٌ يسوعيّ: المولى محمّد العبّاس

للمرحوم الاب لويس شرل اليسوعيّ

هو فصلٌ آخر من الكتاب السابق للاب شرل اليسوعيّ (ص ٩٧–١٠٧) . امّا السلطان المذكور فقد اشرنا اليهِ في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٥٤٩) في ردّنا على جريدة العرب

انَّ لله عجائب في تغيير قلوب الانام من شأنها مرارًا ان تحيّر الحكمة البشريّة . وقد لاحت عنايتهُ تعالى في ارتداد احد سلاطين مراكش فهداهُ بطرائق سرّيّة الى الدين النصرانيّ ثمّ ادخلهُ في حجر الرهبانيّة اليسوعيّة . وقد وقع ذلك في السنة ١٦٥٥ في شخص المولى محمّد العبّاس ابن وليّ عهد سلطان فاس المولى عبد الملك(١

وُلد محمّد العبّاس سنة ١٦٣١ . وكانت امّهُ نصرانيّة اسبانيّة فنشأ الولد ذكيّ الفؤاد ثاقب العقل أعرب بعد زمن قليل عن مناقب جليلة وحُنكة في الآداب الحربيّة ثمّ اقترن بالزواج وولدلهُ ابن اسمهُ احمد وصار نائبًا لعمهِ السلطان محمّد الشيخ المعروف بالاصغر (٢ الذي كان يستشيرهُ في كلّ امورهِ ويفضل رأيهُ على سواهُ في الحرب والسِلم . وقد ظهرت شهامتهُ وحسن مراسهِ في محاربة اثنين من قوّاد الدولة شقّا عصا الطاعة للسلطان فظفر بهما الواحد بعد الآخر وألجأهما الى الخضوع لمولاهما . وشكرًا لنعمتهِ تعالى على انتصارهِ في هاتين الحملتين عوّل على الحجّ الى مكّة ليفي بما فُرض من ذلك الواجب على كلّ مسلم غيور . وانمّا نعمة الله كانت تترقّبهُ في سفرتهِ هذهِ

خرج محمّد العبّاس من فاس بصحبة بعض الموالي وباشر سفرهُ متنكّرًا كاحد اعيان وطنهِ وأبحر اوّلًا الى تونس حيث استقبلهُ ملكها الباي بزيد الاكرام لأنّهُ كان حالفًا للسلطان . ثمّ ركب سفينة شراعيّة انكليزيّة ابحرت من تونس وذلك بمشورة الباي الذي وجدها مجهّزة بادوات الحرب وناشرة لواء دولة مسالمة لجميع الدول النصرانيّة فظنّ انّ لا خوف عليها من عدوّ في طريقها

فما كادت السفينة تخوض البحر اذ أبصر بها اسطولُ فرسان مالطة فامروا رئيسها بالوقوف لتفتيشها رسميًا وتهدّدوا بضربها ان لم يخنع الى الامر . فلم يَرَ بُدًّا من الخضوع فبعد التفتيش اوقفوا المولى العبّاس واخذوهُ اسيرًا الى مالطة

---

١) تولّى ابوهُ السلطان ابو مروان عبد الملك بن زيدان الملك على فاس سنة ١٠٣٧ﻫ وقتلهُ اخوهُ

٢) هو ابو عبدالله محمّد الثالث الشيخ ابن زيدان سلطان فاس ملك بعد ان قُتل اخوهُ الوليد على مرّاكش في ١٥ رمضان ١٠٦٥ ﻫ. الى السنة ١٠٦٦ وقيل ١٠٦٣ (١٦٣٥–١٦٥٦م) وكان الحقّ بالملك بعدهُ لابن اخيهِ محمّد العبّاس

فلمَّا وقع نظر رئيس الفرسان على الاسير عرف بوقته انهُ من اعيان وطنهِ بل استدلَّ من بعض الاوانع انهُ من قرابة سلطان مرَّاكش ومن ثمَّ طلب منهُ مبلغاً وافراً يندي بهِ ذمَّتهُ فبلغ الامر باي تونس فاسرع وجمع ٩٠،٠٠٠ ريال لفكّ إسارهِ

على انَّ ذلك لم يتمّ الَّا بعد ثمانية اشهر لقي الاسير في مدَّتها من حسن المعاملة والانس ما قرَّبهُ الى النصرانيَّة ودرَّس عقائدها ومعارضتها على دينهِ حتَّى قنع بصحَّتها ولم يشأ بعد افتدائهِ من الاسر ان يعود الى وطنهِ بل اعلن في ١٢ حزيران من السنة ١٦٥٦ انهُ يريد ان يتنصَّر . فامتحن الفرسانُ صدق نيَّتهِ وثباتهُ وزادوهُ معرفةً بالدين المسيحيّ مدَّة اربعين يوماً . ولمَّا وجدوهُ مصمِّماً على قصدهِ عيَّنوا لمعمادهِ آخر يوم من تمّوز

فلمَّا كان موعد تنصُّرهِ اخذ لهُ كفيلًا امير فرسان مالطة الكرمندور بلتزار مَنْدس واراد ان يسمّى باسمهِ مضيفاً اليهِ اسم لويولا لوقوع عيد القديس اغناطيوس دي لويولا منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ذلك اليوم . ثمَّ تنزَّل عن حقّ الملك على فاس لابنهِ احمد (١ وعُرف مذ ذاك باسم بلتزار لويولا مندس

واوَّل ما فكّر فيهِ بعد تنصُّرهِ ان يزهد بالدنيا ويعيش ناسكاً في بعض البراري كرهبان الصعيد ثمَّ اوحى اليهِ الله بان يخصَّ نفسهُ لخدمة النفوس ولاسيَّما خلاص اهل وطنهِ فعزم لذلك على درس العلوم الدينيَّة . فقصد رومية العظمى وبعد مدَّة طلب الانضواء الى الرهبانيَّة اليسوعيَّة . لكنَّ الرؤساء قبل التلبية الى ملتمسهِ اوعزوا اليهِ بدرس اللغة اللاتينيَّة مدَّة ثلث سنين وارسلوا احد رهبانهم من مدينة مالقة الى فاس ليتَّخذ سرَّاً كلّ المعلومات عن المولى الشريف . فأدَّى بهِ بحثهُ الى صحَّة نسبهِ الى السلاطين وشهد على ذلك بعض تجَّار النصارى ورهبانهم في فاس مثبتين شهادتهم بالقسم مؤكدين انَّ بلتزار لويولا مندس هو حقيقة ابن سلطان فاس عبد الملك بن زيدان

فلم يبق لرؤساء الرهبانيَّة اليسوعيَّة شكٌّ في صدق الشريف المتنصِّر فقبلوهُ بين

---

١) أنَّ الذي ملك بعد السلطان محمَّد الشيخ بن زيدان على فاس هو احمد الثاني ابو عبَّاس ابن عمّهِ من السنة ١٠٦٥ الى ١٠٦٩ ﻫ (١٦٥٥–١٦٥٨) لكنَّ اخوالهُ دامو الاستبداد بهِ ثمَّ قتلوهُ وبايعوا الامير عبد الكريم الشابي . وبأحمد هذا انقرضت دولة السعديين من آل زيدان في مرَّاكش .

رهبانهم وبعد امتحانه كطالب ثمّ انقطاعه الى درس اللاهوت النظري والادبي ساموهُ كاهناً . وكان في ذلك الوقت في لومانات (اي كورك) مدينتَيْ جنوة ونابولي وعلى السفن الراسية في مرافئ ايطالية عدّة اسرى حرب من المسلمين فوكلوا الى الاب بلتزار ان يرشدهم . فباشر بالعمل بغيرة وايثار عجيبين وتفانى بخدمة اولئك المنكوبين فربحهم لدين المسيح وصبغ منهم بمياه المعموديّة نيّفاً والفين . وارسل الى احد علماء فاس وطلبهُ الى جنوة وهناك اوضح لهُ صحّة الدين المسيحي بأدلة قاطعة دفعتهُ الى طلب التنصّر فارسلهُ الاب بلتزار الى فلورنسة حيث حظي بنعمة العماد

على انّ هذه الارتدادات اثارت على الاب مندس غضب بعض المسلمين المتعصّبين في جنوة فأقسم الواحد منهم بان يسقيهُ السمّ او يُفقدهُ عقلهُ . فقدّم لهُ طاقةً من الزهور كان غمسها في محلول مسموم وتلا عليها اقوالاً سحريّة . فوقف الاب على نيّتهِ وقال لهُ : اني عالمٌ بانك تريد ان تقتلني او تُفقدني الرشاد . وها انا استنشق هذه الزهور وروائحها السامّة ولكن على شرط ان تتنصّر ان لم اشعر بأذىً . ثم اخذها من يدهِ وشرع يستنشق بكل هدوء عبيرها ساعةً . فلمّا رأى ذلك الاثيم انّ الاب بلتزار لم يلحق بهِ ضرر من سمّهِ وسحرهِ خرّ على قدميهِ وطلب منهُ السماح عن فعلهِ وتنصّر بعد زمن قليل

ومع وفرة الاشغال التي كان الاب بلتزار مندس مرتبكاً بها في خدمة مواطنيهِ استصوب تأليف كتاب يبيّن فيهِ لاهل دينهِ صحّة التعاليم المسيحيّة ويفند مزاعمهم الباطلة في حقّهِ وكان ألّف قبل تنصّرهُ عدّة تآليف . ثمّ انشأ جمعيّة من وجوه مدينة جنوة ليقوموا في صوالح المتنصرين حديثاً

وبقي الاب المذكور يعلّمهم ويرشدهم ويؤدي لهم كلّ الخدم حتّى انتدبهُ رؤساؤهُ الى مهمّة اعظم واوسع نطاقاً . فتقدّم اليهِ الرؤساء في تموز من السنة ١٦٦٧ ان يستعدّ للسفر الى الهند ليبشر بالايمان المشركين من اهل تلك الجهات وكان اذ ذاك عمرهُ ٣٦ سنةً . وكان كبير القامة حسن البنية ناصع اللون جميل المنظر ذا عقل ثاقب راضي الطباع دمث الاخلاق كثير الانس واللطف . وكان ينبغي عليهِ ان يذهب اوّلاً الى مدينة لسبونة عاصمة البرتغال ليركب هناك البحر الى الاقطار الهنديّة فسافر من جنوة ورافقهُ احد الخدّام ليقوم بحاجاتهِ في هذا السفر الطويل الشاقّ

ويعتني بتربيته

لما وصل الى مدينة أزل حظي فيها بمشاهدة الامير الكومندور مندس الذي كان وقع في اسره واعتمد بوكالته وتسمّى باسمه فسُرّ الامير بنظر الاب اي سرور واعترف اليه بذنوبه اعترافاً عاماً والحّ عليه ان يأخذه معه الى الهند ليرافقه في رسالته

وخرج اهل بيزيه (Béziers) للاقائه فاستقبلوه برونق عظيم وكلّ تجلّة واكرام . ولقي هناك بعضاً من جالية الفرنسويين الذين سكنوا في فاس منهم احد المصوّرين كان رسم صورته في وطنه ومنهم ايضاً احد الرهبان الدومنيكان . وكان اهل المدينة يتقاطرون الى منزله ليشاهدوه ويسمعوا حديثه . وزاره رئيس الآباء الدومنيكان مع سبعة من رهبانه وخطب مثنياً على فضائله وهو لا يناديه الّا باسم «جلالة السلطان» وكذلك اتى ليزوره الرهبان الاوغسطينيّون والفرنسيسكون فتقدّموا له فرائض الاكرام . ومثلهم فعل اعيان البلد واميرا فرسان مالطة دي كَستِلمانه ودي كالو (de Castelmanet et de Calaux) اللذان كانا تمّما بمراجعته في مالطة اذ كان اسيراً وكانوا جميعاً يجلّونه ويوقّرونه . وتوفّق احد المصوّرين البارعين الى رسم صورته على غير علمه . وهذه الصورة اليوم في بيت أُسرة سُون (Saune) الشريفة

وهكذا ايضاً خفّ لاستقباله اهل طولوز بغاية الأبّهة . ودعاه رئيس الآباء اليسوعيين الى اقامة قدّاس صادح في يوم عيد القديس يعقوب الرسول حضره كافّة الرهبان وكثيرون من اشراف البلد فتناولوا القربان من يده . وفي الغد دعاه رئيس اساقفة المدينة الى مائدته وزاره الحاكم واخصّ الاعيان . وطلب اليه السير دي سان پاپول احد اماثل البلد مع فرسان مالطة ان يقيم الذبيحة المقدّسة في معابد الجمعيّات الرهبانيّة . وكان الاب يجيب الى ملتمس الجميع بكل سذاجة ولطف اجتذب بهما قلوب العموم . وكان الناس يرون في هيبته ورزانته صورة العظمة الشرقيّة

على انّ اتعاب هذا السفر الطويل الذي تجشّمه في ابّان القيظ اثّرت في صحّته تأثيراً سيئاً . فلمّا وصل الى مدريد اهتزّ البلد طرباً لوصوله لكنّه بعد يومين اضطرّ الى ملازمة الفراش لحمّى شديدة أنهكته ونهكته . فدُعي اربعة من اشهر الاطبّاء لمعالجته فلم يألوا جهداً في خدمته لكنهم تحيّروا بعد قليل انّ مرضه عياء لا شفاء له . فعرف الاب حاله واستعدّ لآخرته بكل تقيّ . وقد اسعده الحظ قبل موته ان

يربح نفساً ضالّة من مواطنيهِ المهاجرين الى اسبانية

وذلك انّ احد اطبّائهِ كان في خدمتهِ شابٌّ مسلم عمرهُ سبع عشرة سنة واصلهُ من مملكة فاس . وكان الطبيب سعى في هدايتهِ الى النصرانيّة فخاب سعيهُ . فذكرهُ للاب بلتزار وهو على وشك النزاع فقال لهُ المريض : هلمَّ بهِ اليَّ . فلمّا دخل عليهِ استقبلهُ بكل وداد وبشرٍ باسم وكلّمهُ بالعربيّة بلطفٍ وبغاية الانعطاف . وكان الحضور لا يدركون معنى كلامهِ الّا انّهم بعد ساعة رأوا ذلك الشاب يذرف الدموع السخينة ويقبّل الصليب الذي كان في يد المريض ثمّ طلب العماد وهكذا ربح الاب متدس تلك النفس قبل وفاتهِ للدين المستقيم . ثمّ حاول الاب ان يصلّي الى خالقهِ صلاته الاخيرة قبل ان يجود بنفسهِ فلفظ صارخاً مع سمعان الشيخ : « اطلق يا ربّ عبدك بسلام » فاتمّها حتّى اسلم روحهُ لبارئهِ وذلك في ١٥ ايلول سنة ١٦٦٧

فلمّا شاع الخبر في المدينة عمّ الاسف اهلها لهذا المصاب الاليم . وامرت ملكة اسبانية التي كانت سبقت الجميع لمواجهتهِ عند وصولهِ بان يُحتفل بجنازتهِ احتفال الملوك . فحضر هذه الحفلة جمهور غفير يتقدّمهم كل ارباب الدولة فخطب فيهم احد الآباء اليسوعيين ووفّى المرحوم الكريم حقّهُ من الثناء . وبهذه الميتة الصالحة مجّد الله ذاك العبد الامين الذي ائتمنهُ حبّاً بهِ . وكان الامل الوطيد انّ رسالتهُ في انحاء الهند ستأتي عن يدهِ بالثمار الشهيّة لخلاص اولئك المتسكعين في ظلام الموت فاكتفى الله بحسن نيّة عبدهِ الذي كان يشتهي ان يهرق دمهُ في خدمتهم فاسرع الى جزائهِ في اخدار ملكوتهِ

وقد كتب ترجمة حياتهِ الاب اغناطيوس دي ڤير اليسوعي سنة ١٧١٤ . وجمع الاب دانيال برونشي عدّة كتابات ومعلومات عن تاريخهِ في مجلّدين . وصنّف بعضهم روايةً في ارتدادهِ شخّصوها مراراً على المسارح

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

العلوم والصنائع بين نصارى العرب (تابع)

ومما يدلّ على اتّساع فنّ الحدادة بين نصارى العرب وَفْرة اسلحة ملوك الحيرة. فقد ذكر ابو الفرج في الاغاني (٢٠: ١٣٢) انّ النعمان بن المنذر لمّا خاف كسرى وحاول الفرار من وجهه استودع مالهُ هانئَ بن مسعود الشيباني وكان في جملة وديعته «الف شكّة ويقال اربعة آلاف شكّة. والشكّة السلاح كلّه». وكان للنعمان بن المنذر كتائب مدجّجة بالاسلحة الحيريّة اخصّها كتيبتاه الشهباء والدوسر. وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه (٢: ١٨٠): «الباهوت مَسلحة كسرى في الحيرة»

وكانت في بُصرى ايضاً في حوران مصانع اسلحة مشهورة. قال الحصين بن الحُمام يذكر عمرو بن هند ملك الحيرة المعروف بالمحرّق (شرح المفضّليات ص ١٠٨ Ed. Lyall):

عليهنّ فتيانٌ كأنّهمُ محرّقُ ... وكان اذا يكسو أجاد وأكرما
صفائحَ بُصرى أخلصتها فيوضُها ... ومُطّردًا من نَسج داودَ مُبهما
يزُرْن سُمُرًا من رِماحِ رُدَينةٍ ... اذا حُرّكت بَضّت عواملُها دَما

وكانوا يطبعون اسلحتهم ويرسمون عليها النقوش والتماثيل فكان على سيف الحارث بن ظالم صورة حيّتين وانشد (شرح المفضّليات ص ٦١٦):

طَوَتْ بذي الحيّات مَفرِقَ رأسهِ ... وهل يَركبُ المكروهَ الّا الاكارمُ

اراد بذي الحيّات سيفهُ لِما كان عليه من تمثال الحيّات. وذكر الآخر سيفاً عليه صورة سمكة فعُرف بذي النون:

ويُخبِرهُ مكانُ النُّونِ مِنّي وما اعطَيتُهُ عَرَقَ الجَلالِ

﴿التجارة﴾ قد اشتهر العرب منذ القديم بالتجارة كما ورد ذلك في سفر التكوين (٣٧: ٢٥) في قصّة يوسف الحسن الذي باعهُ اخوتهُ للاسمعيليين المتجرين بتجارتهم الى مصر . على انّ هذه التجارة راجت اسواقهـا بعد المسيح بهمّة الامم النصرانيّة المجاورة للعرب لاسيّما الرومان والحبش . وقد سبق لنا (ص٥٧) ذكر الوفد الذي ارسلهُ الى الحيريين الملـك قسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير لعقد معاهدة تجاريّة مع ملكهم . وذكرنا هناك ايضاً ما ورد في الدستور اليردوسيّ لثاودوسيوس الكبير بخصوص متاجرة الرومان والحبشة مع العرب

وقد اشتهر نصارى الحيرة بالتجارة . وقد ذكر ابو الفرج الاصبهاني (الاغاني ٢٠: ١٣٤) لَطِيمتهم قال: «وهي عِيرٌ كانت تخرج من العراق فيها البزّ والعطر والالطاف يرسلونها الى اليمن» . وقال في التاج (٩: ٦٠): «اللَّطيمة وعاء المسك او سوقهُ وقيل كلّ سوق يُجلَب اليها غير ما يؤكل من حرّ الطيب والمتاع غير الميرة»

وكانت قريش في الجاهليّة ترتزق بالتجارة وربّما رحلوا الى الحيرة . وقد ذكر في الاغاني (٨: ١٨—١٩) خروج مسافر بن ابي عمرو بن اميّـة من سادة قُريش وابي سفيان بن حرب الى الحيرة لامورهم التجاريّة . وقال الثعالبيّ في لطائف المعـارف (ص ٧—٨ ed. de Jong,) ان هاشماً وهو عمرو بن عبد مناف كان «اوّل من سنّ الرحلتين في التجارة رحـلة الشتاء والصيف وهو اوّل من خرج الى الشام من قُريش ووفد على الملوك وأبعد في السَّفر ومرّ بالاعداء واخذ منهم الإيلاف الـذي ذكرهُ الله تعالى» يُشير الى سورة قُريش (١٠٦: ١ — ٢) حيث يقول: «لإيلاف قُريش إيلافِهم رِحلةَ الشتاء والصيف» . قالوا الايلاف العهد والذمام قال الفيروزابادي: الإيلاف شبه الاجازة بالخفارة واوّل من اخذها هاشم من ملك الشام» . وورد في تفاسير القرآن انّ اصحاب الايلاف كانوا اربعة اخوة وهم بنو عبد مناف اولهم هاشم وكان يؤالف ملك الشام باع منهُ خيلًا فسمح لهُ ان يتاجر في الشام . والثاني عبـد شمس وكان يؤالف الى الحبشة . والثالث المطّلب وكان يرحل الى اليمن . والرابـع نوفل وكان يرحل الى فارس وكان هؤلاء يسمّون المتجرين . وفيهم قال الشاعر:

يا أيُّها الرجـلُ المحوّلُ رحلهُ هلّا نزلتَ بآلِ عبد مناف

الآخذون المهدَ من آفانها والراحلون لرحلة الابلافر
والراشنون وليس يوجد رائش والقائلون هلمَّ للأضيافر
والحالطون غنيهم بفقيرهم حتى يصير غنيهم كالكافي

وقال الثعالبي في ثمار القلوب (ص٩) : «انَّ قريش زهدوا في القصوب فلم يبقَ لهم مكسبةٌ سوى التجارة فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والنجاشي بالحبشة والمقوقس بمصر وصاروا باجمعهم تجاراً خلطاء» وقال في الاغاني (٨ : ٥٢) : «وكانت ارض الحبشة لقريش متجرًا» . وذكر هناك عمارة بن الوليد المخزومي وعمرو بن العاصي بن وائل السهمي وخروجهما الى النجاشي في الجاهلية للاتجار

وكان للعرب عدَّة اسواق يجتمعون فيها للمقايضات وضروب المبايعات قد ذكرها في المشرق (١ [١٨٩٨] : ٨٦٧) جناب الاديب محمود شكري افندي الالوسي . وكان معظم هذه الاسواق في جهات الجزيرة العربيَّة التي يغلب فيها عدد النصارى في الجاهليَّة واكثرهم من الحضَر يرتزقون بالتجارة كأسواق البحرين في عمان وهَجَر والمشقَّر وصُحار وكأسواق حضرَموت والشِحر وكأسواق اليمن مثل سوق صنعاء وكسوق دَوْمة الجندل وكسوق عُكاظ في الحجاز التي كان يقوم فيها قسّ بن ساعدة واعظاً وخطيباً مصقعاً

ومما لم يذكرهُ هناك من الاسواق العربيَّة النصرانيَّة سوق الحيرة وقد ذكرهُ ابو الفرج في الاغاني قال (١٦ : ٩٩) قال : «وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع اليه الناس كلَّ سنة» وروى هناك خروج الحكم بن ابي العاصي اليه ومعهُ عطرٌ يريد بيعهُ واخذ حسّان بن جَبَلة الخير على نفسهِ ان يقدّم للقوم «كلَّ خمرٍ او لحم او طعام ما اقاموا في سوق الحيرة» . وقصد حاتم الطائي هذه السوق ايضاً واظهر فيها شيئاً من كرمهِ الذي ضُرب بهِ المثل بنحرهِ الجزور وإطعام الناس

وما لا يُنكر انَّ اهل اليمن وعمان والبحرين وهَجَر والحيرة كانت تجارتهم واسعةً رابحة ومعائشهم رغدة والخصبُ والرخاء غالبين على اطرافهم مع ما فيها من وفرة الغلّات والذخائر وصنوف المعادن والارفاق بخلاف عرب نجد والحجاز فكانت بلادهم مجدبة قاحلة كثيرة الرمال والصحارى . وقد جاء في سيرة نبيّ الاسلام انهُ تعاطى التجارة في شبابهِ استأجرتهُ خديجة بنت خويلد في مالها فكان يخرج بهِ الى

الشام تاجرًا فرأى اهلها النصارى ودخل صوامع رهبانها وكان محظوظاً في تجارتهِ فدعا ذلك خديجة الى ان تقترن بهِ

وكما كان العرب يخرجون الى بلاد النصارى المجاورة لبلادهم كذلك كان النصارى يقدمون الى الحجاز ويبيعون اهلها محصولات اوطانهم . ولنا على ذلك عدّة شواهد . منها «موقف النصارى» في مكّة قال في التاج في مادّة حسر (٣ : ١٤٠) : «بطن مَحْسر وادٍ قرب مزدلفة بين عرَفات ومِنًى . وفي كتب المناسك هو وادي النار لانهُ موقف النصارى . وانشد نُمر رض حين افاض من عَرَفة الى مزدلفة وكان في بطن مَحسر :

اليكَ يبدو قلقًا وضينُا مخالفًا دين النصارى دينا»

وكذلك «مقبرة النصارى» في مكّة ايضاً ذكرها الازرقي في اخبار مكة (ص ٥٠١) وقال انها دُبر القلع اي الجبل الذي باسفل مكّة على يمين الخارج الى المدينة على طريق بئر عنبسة

ومن سلع تجار النصارى في الجاهليّة وبعدها الخمرُ كانوا يعصرونها ويبيعونها ويشربونها في مجالس الانس . وقد وصفها شاعرهم الاعشى بقولهِ :

وكأسٍ شربتُ على لذّةٍ وأُخرى تداويتُ منها بها
ليعلمَ مَنْ لام انّي امرؤٌ اتيتُ المروءة من بابها

وقد اعتادوا عَصر المدامة لدخولها في مشاعرهم الدينيّة في القربان . كما مر سابقاً . وتغنّوا في معانيها الرمزيّة كما فعل ابن الفارض في ميميّتهِ

وممّا تاجر بهِ نصارى اليمن والعراق والبحرين الجواهر والحجارة الكريمة كالجَزْع والياقوت واللآلئ وقد اشتهر الجَزْع اليمانيّ وقد عُرف ايضاً بالخرز اليمانيّ (Conque de Vénus) وكان يتاجر بهِ اهل ظَفار فنُسب اليهم . قال المرقش الاصغر يصف ظعائن يقطعْنَ القفار :

مجلّيْنَ ياقوتًا وشَذْرًا وصيغةً وجَزْعًا ظَفاريًّا ودُرًّا تَوَالقا

وقد ذكر في الاغاني (١١ : ١٦٣) درْجاً لطلحة الطلحات كان فيه حجارة ياقوت ثمنُ كلّ حجرٍ منها يساوي اربعين الف درهم

وروى البكري في مُعجَم ما استعجم يصف ركوب ملك الحيرة الى دير اللجّ

(ص ٣٦٦) : « وكان النعمان يركبُ في كلّ احواله وفي كلّ عيدٍ ومعهُ اهلُ بيتهِ خاصّةً من آل المُنذِر مَن يُنادمُهُ عليهم حُلَلُ الديباج المذهّبة وعلى رؤوسهم اكاليل الذهب وفي اوساطهم الزنانير المفضّضة بالجوهر وبين ايديهم اعلامٌ فوقها صُلبان الذهب فاذا قضَوْا صلاتهم انصرفوا الى مستشرفة على النجف»

امّا اللآلئ والدُرر الثمينة فكان يغوص عليها اهل البحرين منذ زمن الجاهليّة. قال النابغة الذبيانيّ:

او دُرَّةٍ صَدَفيّةٍ غوّاصها بَهِجٌ متى يَرَها يُهِلُّ ويَسْجُدِ

وقد احسن المسيّب بن علَس في وصفهِ الغائص على اللآلئ وانتخابهِ الثمين بينها واستخراجها من البحر قال (شعراء النصرانيّة ٣٥٦ وخزانة الادب ١ : ٥٤٤)

كجُمانة البَحْريّ جاء بها غوّاصُها من لجّة البَحْرِ
صَلْبُ الفؤادِ رئيسُ اربعةٍ متخالفي الألوان والنَّجْرِ
فتنازعوا حتّى اذا اجتمعوا ألقَوا اليهِ مقالدَ الأمرِ
وعلَتْ بهم سَجْحاء خادمةٌ (١ خوصٍ بهم في لُجّةِ البحرِ
حتّى اذا ما ساء ظنُّهمُ ومضى بهم شهرٌ الى شهرِ
ألفى مرابئهُ بتهلكةٍ ثبَتَتْ مراسيها فما تَجْري
فاصابَ أسْقُفَ راسبٍ لَبِدٌ تُرعت ربا غيناءُ للصَّبْرِ (٢
أشفى يَمُجُّ الزيتَ (٣ ملتبسٌ ظمآنُ ملتهبٌ من القَفْرِ
قَتَلتْ اباهُ فقال أتبعُهُ أو استفيدَ رغيبةَ الدهرِ (٤
نصفَ النهار الماءُ غامرُهُ وشريكُهُ بالغَيْبِ ما يدري
فاصاب مُنْيَتَهُ فجاء بها صدفيّةً كصُفيحةِ الجَمْرِ
يُعطى بها ثمناً فيمنعُها ويقول صاحبُهُ ألا تشري
وترى الصواري (٥ يسجدون لها وبنصفها يسديهِ للنحرِ
فلتلك شبهُ المالكيّةُ اذ طلعت بهجتها من الخدرِ

(الهُ بقيّة)

---

١) اراد بالسجحاء السفينة الطويلة الظهر ٢) اي رمى بنفسهِ في البحر وغاص لإخراج الدُرّر. والأسقفُ الطويل المنحني ليغوص. واللَّبِد اي المتلبّد ٣) اراد بالزيت الماء اي اشرَف يقذف الماء من فيهِ كعادة الغائص ٤) يريد انّ ابا هذا الغائص هلك في تحصيل هذه الدرّة غرقاً فقال ابنهُ اتبعُهُ او انالها ٥) الصواري جمع صارٍ وهو الملّاح والبحري. ويُروى: الشواري جمع شارٍ اي المشتري. وسجودهم لفخر الدرّة ونفاستها

مطبوعات شرقية جديدة

J.Rouch. MANUEL PRATIQUE DE MÉTÉOROLOGIE. 2e éd., *Paris, Masson et Cie*, 8°, *p.*149, *Figures et Planches*

دستور عملي لعلم الحوادث الجوّية

مؤلف هذا الكتاب المسيو روش هو ملازم لاحدى المراكب الحربيّة في البحريّة الفرنسويّة ورئيس نظارة الحوادث الجوّية. وقد قام بهذا العمل الجليل في ايّام الحرب فدوّن تلك ظواهر الجوّ بكلّ دقّة واستخلص من ملحوظاته عدّة فوائد جمعها في هذا الكتاب فجعله دستوراً عمليًّا لذلك العلم الجليل. وقد أدّت هذه المعلومات خدماً لا تُحصى للجيوش البرّيّة والبحريّة ولراكبي الطيّارات. امّا الطريقة التي كان يجري عليها لضبط حوادث الجوّ فبأن يُعدّد مراكزها في انحاء مختلفة لرصد الحوادث المذكورة من رطوبة او يبوسة من مطر او صحو من حرّ او برد من ثقل او خفّة هواء فيجمع تلك المعلومات المتفرّقة في مركز واحد ويقابل بينها وينتزع من معارضة بعضها ببعض نواميس عموميّة لمعرفة مستقبل مناخ الجوّ فيصحّ توسّمهُ بها في الغالب وان لم يمكنهُ القطع بصحّتها لما يطرأ على الجوّ من الطوارئ غير المنتظرة والانواء الفاجئة. فهذا الكتاب يبحث بحثاً علميًّا عن كلّ ذلك ويمهّد الطريق للاستدلال على حركات الجوّ والاستفادة منها للفلاحة والزراعة ومباشرة الاسفار وغير ذلك. فنمحض شكرنا للمؤلف ونحضّ قرّاءنا على مطالعة كتابهِ الجليل المفيد للعلماء كما لعموم الناس ج. ل

Paul Bureau. L'INDISCIPLINE DES MŒURS. Paris, Bloud et Gay, 1920, in-8. pp. 608

خلاعة الآداب

انّ انحطاط الآداب في عدّة بلاد اوربيّة قد دفع المسيو بورو الى تصنيف هذا الكتاب الذي يدلّ على انّ كاتبهُ اجتماعيّ وفيلسوف معاً وهو من اساتذة مكتب الحقوق والعلوم الاجتماعيّة العليا في باريس. فانّهُ اذ سرّح البصر في حالة الهيئة الاجتماعيّة في وطنهِ وغيرهِ من البلاد احسّ بما مُنيت بهِ من التهتّك والخلاعة وسوء

الآداب وانتهاك حرمة الزواج الشرعي فوصفها وصف الطبيب العارف بالداء وشفاءها بشرط الجرّاح النطاسيّ فبيّن انتشار ذلك الوباء العضال مقرًّا مع ذلك بفضل الذين جعلوا الادب دينهم ثمّ انتقل الى وصف ما اتخذتهُ الدول من الوسائط لحسم ذلك الداء فأثبت قلّة فائدتها. ثمّ اخذ يوصف الادوية الفعّالة لشفائهِ ألا وهي العفّة بين العزّاب ثمّ الزواج الشرعي للعموم مع مراعاة قوانينهِ اي تفرُّد الزوجة ونفي الطلاق والحبّ المتبادل. وقد ختم بقولهِ انّ الزواج كما تفرضهُ الكنيسة الكاثوليكيّة والتعاليم الدينيّة افضل طريقة لاصلاح الآداب. فنعمَ القول لرجل ادّت بهِ الحقيقة الى الاقرار بفضل الدين في اصلاح الهيئة الاجتماعيّة

ي. منجان

Paul Schostakovsky: Deux ans et demi au Pays des Bolcheviks, *Paris, Hemmerlé, Petit et C^ie^*, 1920, *in*-12. *pp.* 165

سنتان ونصف في بلاد البولشفيك

مؤلف هذا الكتاب احد ابناء روسيّة كان غائباً عنها لمّا أُعلن بالدستور وقُتل القيصر فعاد الى بلادهِ رجاء ان يتمتّع فيها بالحرّيّة بعد الحكم القيصري المُطلَق. لكنّهُ ما كاد يربع بوطنهِ حتّى رأى في الفتنة البولشفيكيّة شدائد وفظائع انستهُ استبداد القياصرة فذاق من لينين ورفقتهِ ضروب المحن الى ان تمكّن من الفرار في ليل دامس الظلمة كثير الانواء مع عائلتهِ ووصل الى فنلندة بعد اللتيّا والتي ومنها الى ايطالية حيث بادر الى تأليف هذا الكتاب ليُطلع الدول المتحالفة على احوال البولشفيين وزعمائهم الذين اوقعوا روسيّة في هاوية لا نجاة لهم منها ما لم يَقُم بعض ذوي الشهامة فيخلّصها من براثنهم. وقد تتبّع في الكتاب امورهم فردًا فردًا وكشف عن آثامهم التي لا يكاد يتصوّرها من لم يعاينها

ل. ش

ALMANACH CATHOLIQUE FRANÇAIS pour 1921, Paris, Bloud et Gay, 1921, in-12. pp. 384, Prix. 6fs .50

التقويم الكاثوليكي الفرنساوي

يظهر هذا التقويم منذ عدّة سنين فأثبت صحّة اسمهِ بما يتضمّنهُ من المعلومات المفيدة العموميّة والخصوصيّة لجميع الكاثوليك الفرنسويين منها دينيّة ومنها اهليّة واقتصاديّة ومنها ادبيّة يحتاج اليها كلّ من يريد الوقوف على النظام الكاثوليكي

ومشروعاته الفنية ومدارسه ومكاتبه ونزاراته وشركاته في كل انحاء فرنسة . وهو يفيد اهل بلادنا ايضاً الذين يقصدون معرفة الحركة الدينية في الدولة المحبوبة المتدبة الى الوصاة على سورية ويجلب نظرهم الى المشاريع الحسنة التي يمكن تشبُّه الشبيبة بها في هذه الاصقاع مع ما هناك من الاعلانات العديدة لاستحضار ما يحتاج اليه الاكليروس من الحلل الدينية والعلمتيون من اجناس المصنوعات الفرنساوية ل . ش

ALMANACH DES FAMILLES CHRÉTIENNES pour 1921. Einsiedeln, Suisse, Benziger et Cie, in-4. pp. 73

تقويم العيال المسيحية

يمتاز هذا التقويم المطبوع في سويسرة بحسن طبعه ونقوشه وتصاويره ومضامينه الجامعة بين اللذة والافادة . وهو مطابق لاسمه اذ تجد فيه العيال المسيحية ما تشتهيه من المعلومات الدينية والاهلية معاً

A. Got: LA CONTRE-RÉVOLUTION ALLEMANDE. in-8°, pp. XII-210,= L'ALLEMAGNE A L'ŒUVRE, in-8°, pp. XIV-296, Impr. Strasbourgeoise, Strasbourg, 1920

مناهضة الثورة في المانية — المانية في العمل

المسيو غوث اخذ على نفسه تعريف احوال المانية الجديدة لاهل فرنسة . وقد سبق لنا وصف كتابه المعنون «المانية بعد غلبتها» (المشرق ١٧ [١٩٢٠] : ٥٥٣) وها هوذا بكتابين آخرين يواصل فيهما دروسه عن المانية المستجدة . ففي الاول يصف نهضة المانية بعد كبوتها وانتصار الحلفاء عليها فانها بعد سقوط الامبراطور غليوم خيف عليها من اهل الثورة فتوالت عليها حوادث مهمة كادت تجعلها طعمة لاهل الفوضى . لكنها لحسن الحظ لم يُصبها ما اصاب فرنسة بعد الثورة العظمى ولم تسقط مثلها في ايدي رجال اشرار كدانتون ومورا وروبسپيار وذلك ما مكنها من تجديد قواها واستئناف عملها . وقد خصّ الكاتب بهذا العمل الالماني تأليفاً آخر وهو الثالث من قلمه وصف فيه المشاريع الالمانية لاسيّما الاقتصادية التي تسوّل لها دفع غرامتها الحربية ووفاء ديونها الباهظة . على انّ ذلك يحتاج الى مساعدة الحلفاء وتمويتهم اياها

بالموادّ الاوّلية لتستخرج ما لديها من الكنوز المالية الفنيّة بها تربتها لاسيّما الحديد والفحم . وفي فصول هذين الكتابين بعض الخلل في السياق فانهُ كان افضل ان يقدّم الكاتب الحوادث التاريخيّة مشفقةً ويدع تراجم بعض الرجال على حدةٍ ج . ل

Pensées choisies des Rois de France recueillies et annotées par G. Boissy, *Paris, Grasset, in-12, Prix 7fs .50*

نخبة من افكار ملوك فرنسة

من يطّلع على بعض تواريخ فرنسة التي يكتبها قومٌ من ذوي الغايات المتهوّسين يظنّ انّ ملوك فرنسة كانوا يضحّون اوطانهم لاغراضهم الشخصيّة لا يهتمّون برعاياهم وبالخير العامّ . فذلك والحقيقة على طرفي نقيض ينقدهُ هذا المجموع المتّع وفيهِ شاهد على كلّ عواطف ملوك فرنسة الشريفة وماكان يخطر على بالهم من الافكار السامية والمملوءة حناناً نحو شعوبهم . واللسانُ كما قال الربّ ينطق من ملْ القلب . نعم انّ القارئ لا يجد شيئاً من افكار ملوك فرنسة الاوّلين وكانوا وقتئذٍ يُعتَون بانشاء دولتهم وتنظيمها والدفاع عنها . وربما نسي المؤرخون ان يدوّنوا اقوالهم . امّا اذا اعتبرنا ما نقلهُ هنا الجامع من اقوال القديس لويس التاسع وخلفائهِ ملكاً بعد ملك نجد في الفاظهم ما يدلّ على أنّهم كانوا لشعبهم آباء اكثر منهم سادةً وانّهم كانوا يتّخذون التعاليم الانجيليّة كدستورهم في سياسة رعاياهم ولا يسعنا ان نورد هنا شيئاً من تلك الاقوال فنحيل القارئ الى مراجعة هذا الكتاب الذي نثني على همّة صاحبهِ في جمعهِ وتنظيمهِ ونحضّ طالبي الحقائق على مراجعتهِ الاب ي . منجان

Chez Jos. Paillart, *libraire-éditeur, IIme Haspail* 51, *Paris VI* : I Un Capitaine de Cavalerie. Jeanne d'Arc, la Sainte de la Patrie, 1920, in-12, p. 92, Prix 2fs,50=II Yvon de St-Gouric. Une âme aimante, s.d. in-16, p.79, Prix. 3fs.=III Abbé Maurice Dubourg. Sixième et Neuvième Commandements . Entretiens d'un Aumônier avec un soldat de la guerre, in-16. p. 84, 1920, Prix 2fs, 50

جان دورك القديسة الوطنيّة — نفسٌ لطيفة — محادثة مع جندي من الوصيّتين السادسة والتاسعة

هذه ثلثة كتب صغيرة اهدانا اياها الطبّاع يوسف بليار ويحقّ لها ان تردان بها المكاتب . فالاوّل ترجمة حسنة للقديسة جان دورك بطل وطنها استدّها كاتبها

العسكري الفضل من التآليف العديدة التي نُشرت في هذه السنين الأخيرة بعد استخراج المكنونات الدفينة من سجلات المكاتب من شأنها ان تحبب تلك الفتاة العجيبة وتبعث في القلوب حبّ الوطن—والتأليف الثاني يصف نفساً مجروحة لما اصابها من آفات الحياة فتلقى عند قنوطها سلواناً ومرهماً لدى قلب حنون يرثي لاوجاعها ويضمّد بردائه جراحها. على اننا كنا وددنا ان تتوطد تلك التعزية على دعائم الايمان الامكن والاثبت—اما التأليف الثالث فهو للكاهن دوبورغ فهو يتألف من رسائل كتبها في زمن الحرب لبعض الشبّان من اصحابه ليرشدهم الى العفاف عقلاً ونقلاً وهم معرّضون حينذاك لاخطار جمّة تفقدهم كنز براءتهم فاحسن حضرتهُ بنشرها ليتّخذها شبان العصر دستوراً لحياتهم وترياقاً لادوائهم ج. ل

PATROLOGIA ORIENTALIS: LOGIA ET AGRAPHA DOMINI JESU APUD MOSLEMICOS. Collegit, vertit, notis instruxit Michael Asin et Palacios. 1, *Paris, Firmin-Didot, in-4, p.* 96

الاقوال المنسوبة الى السيّد المسيح في التآليف الاسلامية

انّ من يقرأ تآليف المسلمين الادبيّة والصوفيّة يجد في اثنائها عدّة حكم واقوال ينسبها اصحابها الى السيّد المسيح منها ما هو مقتطف من الاناجيل المقدّسة الصحيحة ومنها ما لا تجدهُ الّا في الاناجيل الزور التي سبق لنا عنها الكلام وبعضها ما لا يُعرف اصلهُ وكلّها مرويّة «ليسوع او عن عيسى عليه السلام». وقد جمعنا نحن منها كثيراً لعلّنا ننشرها يوماً. وقد سبقنا الى شيء من ذلك حضرة الاستاذ الاسباني الشهير ميخائيل اسين بلاثيوس فنشر في مجموع الآباء الشرقيين للمسيو غرافين مئة من هذه الاقوال اقتطفها خصوصاً من كتاب احياء علوم الدين للغزالي ونقلها الى اللاتينيّة وعلّق عليها الحواشي المفيدة. فاستحسنّا هذا العمل ونحن ننتظر تتمّتهُ لنزيد عليه ما لدينا من هذه المرويّات الغريبة ونبدي فيها رأينا ل. ش

E. G. Ledos : JOSEPH DENAIS, Écrivain et Journaliste angevin. *Angers, G. Grassin*, 1920, *in*-8. *pp.* 328

الكاتب الصحافي جوزف دناي

بينما كان لويس فوليو يشرّف الصحافة بكتاباته العجيبة في جريدة الاونيفير

ويدافع عن كلّ الحقوق المهضومة اعدّ الله في مدينة انجه في فرنسة صحافيًا آخر نزل في ميدان الجهاد للذود عن حرمة الدين والآداب وهو يوسف دياني المولود في بوفور سنة ١٨٥١ والمتوفى فيها في ٢٠ ت ١ سنة ١٩١٦ . فانّهُ مدّة خمسين سنة لم ينقطع عن الكتابة والتأليف حتّى انّ عدد مصنّفاته بين طويلة وقصيرة في الجرائد وغيرها يبلغ ٣١٥٧ كتاباً او مقالًا قد جمع اسماءها المسيو ليدوس في هذه الترجمة البديعة التي بيّن فيها فضل ذلك الانسان الفريد في سيرته الصالحة وعلومه المتّسعة ومعارفه الادبيّة والفنيّة وتآليفه المتنوّعة . وقد خصّ المترجم شرقنا بكثير من كتاباته لمّا ساح في انحاء تركيّة وزار الاستانة ودخل على عبد الحميد ولهُ في كلّ ذلك رسائل مفعمة بالملحوظات المصيبة ولهُ تأليف خاصّ في الفرمسونيّة التركيّة وفي عبد الحميد ومراد اخيه . وكان لم يبالِ بالامتيازات والاوسمة وقد اتتهُ مع ذلك على قدر ما كان ينفر منها من كلّ الدول الاوربيّة والجمعيّات العلميّة من جملتها وسام القديس غريغوريوس من قبل الحبر الاعظم لاون الثالث والنيشان العثماني المرصّع من قبل عبد الحميد . وآخرُ ما فاه بهِ ان قال لزوجته الكريمة ولاهلهِ : ايّاكمُ والبكاء عليّ فانّ الفراق قصير والاجتماع عند الله ابديّ

الاب ف . تورنيز

ESSAI SUR LA LITTÉRATURE DES BERBÈRES. THESE PRINCIPALE POUR LE DOCTORAT ÈS LETTRES présentée à la Faculté des Lettres d'Alger par Henri Basset, *Alger, Bastide.-Jourdan*, 1920, *in*-8, *pp.* 446

نظر في آداب البربر

البربر قبائل عديدة وطنيّة تسكن في شمالي افريقية ادخلها العرب في حكمهم لمّا فتحوا الجزائر والمغرب والقسم الاكبر منهم اليوم تحكم عليهم الدولة الفرنسويّة . ولهذه القبائل لغة مستقلّة ترتقي الى اللغة الليبيّة والى العنصر الحاميّ القديم كاد يأخذها الضياع باختلاط اهلها بالعرب لكنّ بعض ذوي الهمّة من العلماء والمرسلين اخذوا يدرسونها في القرن الماضي ويجمعون شتاتها . وقد سرّنا انّ المسيو هنري باسّه نجل العلّامة رينه باسّه المستشرق الشهير ورئيس مكتب الجزائر العربيّ تفرّغ لدرس هذه اللغة وجمع مآثرها فصنّف هذا التأليف الواسع لتعريف خواصّها وبيان فرائدها والاختلافات الطارئة عليها في انحاء المغرب ثمّ روى ما امكنهُ من مآثرها الباقية في

فنون الانشاء من امثال وروايات وقصص وفكاهات واغاني وانتزع منها فوائد تاريخية ودينية واجتماعية . وقدّم هذا التأليف الجليل لكلية الجزائر لينال به شهادة الملفنة . فنهنئ المسيو هنري عن تصنيفه هذا ونؤمل له رواجاً مستفيضاً ل.ش

الدين والوطنية

للمنسنيور باسيليوس موسى وكيل الاقباط الكاثوليك

طُبع بالمطبعة اليوسفية في مصر سنة ١٩٢٠ (ص ٧٢)

انّ النهضة الوطنية التي قام بها المصريون بعد الحرب الكونية لم تنحصر في دائرة السياسة بل تطرّفت الى ان مسّت حرمة الدين كأن الوطنية تستدعي التساهل في المعتقدات فتُضحّى على هيكل حبّ الوطن . وهو بئس الرأي حاول حضرة المنسنيور باسيليوس موسى احد متخرّجي كليتنا البيروتية تزييفهُ في هذه المحاضرة فبيّن عقلاً ونقلاً ما هي الوطنية وكيف يوجب الدين محبّة الوطن وذلك رغم الاختلافات الدينية بين ابناء الوطن الواحد . ومن ثمّ ليس من داعٍ يسوّغ التساهل الديني مراعاةً لحرمة الوطن بل هو التساهل الديني الذي يدكّ ركن الوطنية الصادقة . فنهنئ حضرة الكاتب على ما افاد به واجاد بحيث ازال من العقول رأياً فاسداً بل حجر عثرة تضرّ الدين والوطنية معاً ل.ش

التعبئة في لعب الشطرنج

بقلم جبرائيل نصره المهندس

بالمطبعة المصرية الأهلية بالقاهرة (سنة ١٩٢٠ الجزء الاوّل ص ١٨٤)

قد قيل في الشطرنج انّهُ لعبُ الملوك وملكُ الالعاب لما يحتاج اليهِ من الخبرة والتروّي وترويض الاخلاق . وللاوربيين في الشطرنج عدّة تآليف امّا العرب فذكروهُ في كتبهم استطراداً دون التوسّع . فأحبّ الاديب جبرئيل افندي نصره ان يسدّ ذاك الخلل فوضع هذا الكتاب المطوّل وجمع فيهِ ما امكنهُ من ضروب الالعاب واشكالها وحلّ رموزها . فلا شكّ ان يُقبل عليهِ كلّ محبّي لعب الشطرنج فينهج لهم طرقاً جديدة للهجوم والدفاع في هذه الحرب الادبية الجديرة بالنفوس الشريفة

شذرات

﴿رسالة العصر الجديد﴾ هي الرسالة الرعائيَّة التي وجَّهها نيافة قاصدنا الرسولي السيد فريديانو جياننيني فضمَّنها نظرًا اجماليًّا على الطور الجديد الذي دخلت فيهِ الاوطان السوريَّة تحت وصاة فرنسة فاجال نيافتهُ نظره السامي في حقيقتهِ الباطنة والظاهرة واستجلى معانيهُ وأزال كلّ لَبْسٍ من شأنهِ ان يشوّهُ محاسنهُ وقد بيَّنَ خصوصاً ما للديانة فيهِ من القسط الوافي فلولاها ينقلب النور الى الظلام. وان كان للحكم المدني حقوقٌ لا تُنكر فان للسلطة الروحيَّة ايضاً حقوقها الراهنة ومن ثمَّ رشق بسهم الملام المتحاملين عليها والناقضين اركانها كالشيع الماسونيَّة والتعليم اللاديني. وقد اتَّسع نيافتهُ في بيان نعمة الدين الكاثوليكي الذي عليهِ مستند التمدُّن والهيئة الاجتماعيَّة واليهِ دعا الاخوة المنفصلين عنهُ الذين شقُّوا بعد انفصالهم عن مركز الوحدة اذ القوا كتائب جنيَّة عتيَّة . وتمنَّى لو يعود ابناء سوريَّة القدماء الذين دخلوا في مذهب عرب الحجاز الى دينهم السابق

﴿محفل صنين﴾ بشَّر مراسل جريدة الف باء البيروتي قرَّاءها بان محفل صنين الماسوني عوَّل على استئناف العمل بعد انقطاعهِ وذلك بهمَّة رئيسهِ فارس افندي مشرق . (قلنا) يا لها من بشرى تهتزّ لها معاطف ابناء الارملة . وانَّا نودّ لو افادنا الرئيس المذكور ما هو ذاك العمل الذي يريد استئنافهُ اعضاء محفل صنين أهو عمل خيريّ فندعو اليهِ كلّ محبّي الخير ؟ او هو عمل ادبيّ وديني فما احرى بنا ان نشاطرهُ العمل ؟ او هو اجتماعي واقتصاديّ فكم تُبشّر بهِ حكومتنا الجديدة التي تطلب لها مساعدين يؤازرونها في نهضة الوطن وحلّ إسارهِ من أزمة المعاش ووقوف الاحوال . وان كانت هذه نوايا محفل صنين فما لهُ يسترها ويخصّ بها الماسون ؟ او ليس احتجاب الماسون في محافلهم وإيصاد ابوابهم في وجه غيرهم دليلًا على انَّ عملهم هذا «غير نظيف» وانَّهم لا يعمدون الى الاثواء والاعتزال الَّا لغايات غير محمودة . قال الربّ في انجيلهِ الطاهر (٣ : ٢٠) . من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلَّا تُفضح اعمالهُ

﴿رئيس الشرق الاعظم﴾ ورد في جرائد مصر خبر وصولهِ الى قطر النيل وفيها

انهُ ينوي زيارة القطر السوري . فهو ايضاً آتٍ بلا شكّ الى العمل . اقرأ الى الاشتغال بالسياسة ومناصرة المبادئ اللادينيَّة التي يجاهر بها المنتمون الى الجمعيَّات السرّيَّة . فعلى الكاثوليك بل على كلّ محبّي النظام والآداب ان يجعلوا سدًّا بازاء كلّ حركة فوضويَّة ويتصدَّوا لكل من يسعى في محاربة الدين

﴿المارشاليَّة الجدد﴾ هم الجنراليَّة الفرنسويُّون الثلثة : فايول وفرنشه دسبره وليوتي تقلَّدوا آخرًا منصب المارشاليَّة وليس في فرنسة فوقها رتبة جنديَّة استحقُّوا ذلك بمآثرهم المديدة في الحرب الكونيَّة الاخيرة . وثلثتهم تلامذة الآباء اليسوعيين . درس فايول في مدرسة سنت اتيان ودخل اخوهُ الرهبانيَّة اليسوعيَّة . وفرنشه دسبره من تلامذة مدرسة انيون والمدرستان من اقليم ليون الذي بهِ منوطة رسالتنا سوريَّة . اما الثالث ليوتي فانهُ من تلامذة مدرسة باريس الشهيرة بمدرسة شارع البريد (Ecole de la Rue des Postes) . يضاف اليهم المارشال فوش الذي سبق نصبهُ الى هذه الرتبة وهو من تلامذة مدرسة سنت اتيان بعد ان تخرَّج مدَّة في مدرستنا في ميتز الى حين تملَّكها الالمان سنة ١٨٧٠ ولهُ ايضاً اخٌ يسوعي . فهؤلاء اربعة من ستَّة مارشاليَّة في فرنسة حاضراً يمثّلون الشهامة الفرنسويَّة وهم خرّيجو الرهبان الذين لم يخجل رينان وامثالهُ من نسبتهم الى الفشل في التربية والخَوَر في التعليم

﴿فضل فرنسة على الجزائر﴾ قد تحوَّلت الجزائر بفضل فرنسة الى بلاد جديدة منذ تولَّت عليها واخمدت ثوراتها فانها قد انشأت نحو ٢٠٠ مدينة او قرية جديدة . مدَّت ٤٠٠٠ كيلومتر من السكك الحديديَّة . فتحت عدَّة مرافئ للسفن . طهَّرت النواحي من الاوبئة . عمَّمت التعليم . تضاعف بهنَّتها عدد السكَّان . حتَّى قال بعض الاختصاصيين انَّ فرنسة احيت الجزائر بعد موتها

﴿جامعتان اميريكيَّتان﴾ أنشئت الاولى في القاهرة في خريف السنة المنصرمة وقد ابتاعت لها دار الجامعة المصريَّة الاولى مع ما يحدق بها من الاملاك ونالت امتيازاتها من مجلس مدينة واشنطون ورئيسها الدكتور تشارلس طومسون . والثانية هي كلّيَّة الاميريكيَّة السوريَّة الانجيليَّة في بيروت نالت من مجلس كلّيَّة نيويرك براءة ترقيتها الى جامعة وفروع تعليمها الآن ستة : الآداب والطبّ والصيدلة وطبّ الاسنان والتجارة والهندسة . وهي تنوي انشاء فرعين آخرين للحقوق والزراعة .

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد لمن هو البيت الآتي وهل يُعرف لهُ تابعٌ

ديارٌ بأكناف المغيبِ تَسلَّعُ وما إن بها من ساكنٍ وهي بلقعُ

روى هذا البيت ابن العربي في محاضرة الابرار (١ : ١٨٩) ولم يذكر قائلهُ وانما قال انَّهُ قرأهُ على باب مدينة الزهراء في الاندلس مع ابياتٍ اخرى هكذا :

ديارٌ بأكنافِ المغيب تسلَّعُ وما ان بها من ساكنٍ وهي بلقعُ
ينوحُ عليها الطيرُ من كلّ جانبٍ فيصمتُ احياناً وحيناً يرجعُ
فخاطبتُ منها طائراً متفرّداً لهُ شَجَنٌ في القلبِ وهو مروّعُ
فقلتُ على ماذا تنوحُ وتشتكي فقال على دهرٍ مضى ليس يرجعُ

س وسأل حضرة القس مبارك الدامروي : ١ هل يجب على المشترك بثوب السيدة لبسهُ مدّةً قبل استبدالهِ بايقونة الثوب وهل يجوز الاشتراك بثوب مستعار ثمَّ تعطى القونة بدلهُ حالاً . ٢ هل يجوز الاشتراك بالورديّة بمسبحة مستعارة وهل يلزم ربح غفران الورديّة ان تبارك مسبحة المشترك كلّ مرّة تغيّرت باي وجهٍ كان . وهل يجب تدوين اسم المشترك مع عائلتهِ (فلان بن فلان) . ٣ هل يجب على المتناول كلّ يوم ان يعترف مرّة كلّ خمسة عشر يوماً لربح الغفارين

غفرانات ثوب العذراء والورديّة — اعتراف المتناول كل يوم

ج نجيب على (الاوّل) لا مانع من الاشتراك بثوب مستعار ولو تعدّد المشتركون وتكرّر صورة الاشتراك ما لم يكثروا . ثمّ تعطى حالاً ايقونة الثوب . ولكن اذا عاد المشترك الى لبس الثوب بدلاً من القونة يلزم ان يبارك ذاك الثوب الاوّل ٢ نجيب على (الثاني) انَّ الاشتراك بالورديّة لا يحتاج الى ان تُعطى مسبحة . ويمكن اكتساب الغفرانات بمسبحة غير مغفّرة . وكذلك لا حاجة الى الاشتراك لمن في يدهِ مسبحة مغفّرة فانهُ يربح الغفارين الممنوحة لها من الكاهن المأذون . لكن هذه الغفارين تختلف عن غفارين شركة الوردية . والمسبحة يجب اعادة تغييرها اذا انفرطت او فُقد كثير من حبوبها دفعةً واحدة . واما تدوين اسم المشترك فيكون عادةً باسمهِ واسم نسبهِ . ٣ نجيب على (الثالث) ان الذي يتقرّب كلّ يوم او خمس مرار في الاسبوع يربح الغفارين دون شرط الاعتراف كلّ اسبوعين ما لم يكن فقد حالة النعمة بخطيئة ثقيلة .

الاب ي . منجان